

## الباب الخامس

### العمل الإسلامي

■ النموذج التركي وإسلاميو الربيع العربي

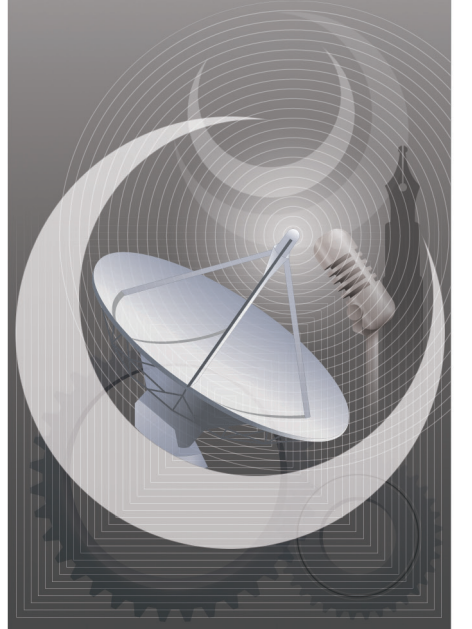
محمد مبروك

■ الإسلاميون وفقه الحضور الإعلامي..  
كيف يخاطب الإسلاميون وسائل الإعلام؟

عصام زيدان

■ المشهد السياسي السلفي.. دراسة حالة مصر

طارق عثمان



# النموذج التركي وإسلاميو الربيع العربي



محمد مبروك

مفكر إسلامي

## ملخص الدراسة

ما إن أسقطت ثورات الربيع العربي حكامها، وأنظمتها، وبدأت الجماهير العربية في البحث عن نظام جديد وبديل عن تلك النظم الفاشمة، حتى برز الحديث عن النموذج التركي، خاصة أن حزب العدالة والتنمية حقق نجاحات على كثير من الأصعدة، سواء السياسية أو الاقتصادية.

وقد دفعت تلك النجاحات كثيرًا من القوى السياسية، بمختلف مشاربها الليبرالية والإسلامية، إلى الشاء على ذلك النموذج، وذكر محاسنه، فالليبراليون يرون أنه بديل مقبول لديهم عن تيارات إسلامية أخرى، أمثال الإخوان والسلفيين، وبعض الإسلاميين يرى أن تجربة حزب العدالة جديرة بالاحترام، خاصة أنها استطاعت تقوية الفرصة على المتربصين الذين يريدون إجهاض التجربة الإسلامية منذ بدايتها وقبل اكتمالها.

تهدف الدراسة إلى بحث موقف الإسلاميين من هذه التجربة، وخاصة موقف إسلاميي الربيع العربي في مصر وتونس؛ حيث تعرض لموقف جماعة الإخوان المسلمين التي جاءت تصريحات قياديينها -سواء من التيار المحافظ أو التيار الإصلاح- لتعلن رفضها للنموذج التركي كمنسمة للتطبيق على الواقع المصري.

ثم تعرج الدراسة على موقف حزب الوسط الذي يرى المحللون أنه أقرب الأحزاب المصرية إلى فكر العدالة والتنمية، ومن ثم فهم يرون أنه أكثر الأحزاب احتمالاً في العمل على تمثّل هذا النموذج التركي في الحياة السياسية.

ثم تتناول الدراسة موقف التيار السلفي من حزب العدالة والتنمية، لتصل إلى موقف إسلاميي تونس وحركة النهضة من التجربة التركية.

تحاول الدراسة تقديم الرؤى المختلفة لمشروع العدالة والتنمية، فبين من يرى أنه مشروع يلتزم بالقواعد العلمانية شكلاً، ويضمّر السعي نحو المشروع الإسلامي الشامل، وبين من يعتبره مشروعاً يسعى إلى استبدال العلمانية التركية المتوحشة بعلمانية معتدلة تحافظ على ما يسمى بالهوية الحضارية الإسلامية، فيما يرى فريق ثالث أنه مشروع يتنازل عن المشروع الإسلامي، وينطوي على رؤية استسلامية، وفريق رابع يطرح رؤيته بأنه مشروع برجماتي يقدم حلاً توافقياً (يعمل على تأويل الإسلام للتوافق مع العلمانية القائمة) في سبيل النجاح الواقعي للتقدم التركي، أو لقادة الحزب، أو لكليهما على السواء.

إن الحكم على النموذج التركي بالفشل أو النجاح أو دعوة التيارات والأحزاب الإسلامية في الربيع العربي إلى التمثّل به من عدمه؛ يتحدد وفق منظورين للتعامل مع الموضوع: المنظور العقائدي، والمنظور البرجماتي (المصلحي).

# النموذج التركي وإسلاميو الربيع العربي



محمد مبروك

مفكر إسلامي

ما إن أسقطت ثورات الربيع العربي حكامها، وأنظمتها، وبدأت الجماهير العربية في البحث عن نظام جديد وبديل عن تلك النظم الغاشمة حتى يبرز الحديث عن النموذج التركي، خاصة أن حزب العدالة والتنمية حقق نجاحات على كثير من الأصعدة، سواء السياسية أو الاقتصادية؛ دفعت تلك النجاحات كثيراً من القوى السياسية، بمختلف مشاربها الليبرالية والإسلامية، إلى الشاء على ذلك النموذج، وذكر محاسنه، فالليبراليون يرون أنه بديل مقبول لديهم عن تيارات إسلامية أخرى، أمثال الإخوان والسلفيين، والإسلاميون بعضهم يرى أن تجربة حزب العدالة جديرة بالاحتذاء، خاصة أنها استطاعت تفويت الفرصة على المتربصين الذين يريدون إجهاض التجربة الإسلامية منذ بدايتها وقبل اكتمالها.

من هذا المنطلق جاءت تلك الدراسة لتسلط الضوء خاصة على المتغير المستقل، وهم الإسلاميون وموقفهم من المتغير التابع وهو النموذج التركي متمثلاً في حزب العدالة والتنمية. ليكون السؤال البحثي الرئيس هو: ما هو موقف الإسلاميين من تجربة حزب العدالة والتنمية؟ وتأتي الإجابة عبر استخدام المنهج التاريخي في وصف الواقع السياسي التركي منذ سقوط الخلافة وحتى الآن، ثم استخدام المنهج المقارن؛ للمقارنة بين المواقف المختلفة للتيارات الإسلامية من النموذج التركي.

## أولاً: الواقع السياسي التركي منذ سقوط الخلافة إلى الآن:

في المؤتمر الذي تم فيه توقيع معاهدة لوزان سنة ١٩٢٣م أفهم اللورد كيرزون الوزير البريطاني عصمت إينونو ممثل الوفد التركي أن إنجلترا وحلفاءها لن يمنحوهم الاستقلال إلا بشروط أربعة عُرفت فيما بعد بشروط كيرزون الأربعة وهي:

- أن تقطع تركيا علاقتها بالإسلام.
- وأن تقوم بإلغاء الخلافة.
- وأن تتعهد بالقضاء على كل حركة يمكن أن تقوم لإحياء الخلافة.
- وأن تستبدل تركيا القوانين الوضعية بالشريعة الإسلامية، وأن تصنع لنفسها دستوراً مدنياً بدلاً من الدستور العثماني المستمد من الشريعة الإسلامية<sup>(١)</sup>.

(١) د. كمال حبيب، الدين والدولة في تركيا، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٢٥.

جمعية بهدف ديني أو عقائدي، تخالف علمانية الدولة، وتخل بنظامها الاجتماعي أو الاقتصادي، أو السياسي أو القانوني بالسجن من عامين إلى سبعة أعوام، ويعاقب كل من ينضم، أو يحرض الآخرين على الانضمام إليها بأقل من ستة أشهر.

وكل شخص يقوم بأي دعاية بهدف زعزعة الأسس العلمانية بأي شكل من الأشكال أو استغلال الدين كآلة سياسية، يُعاقب بالحبس من عام إلى خمسة أعوام، وكل من يقوم بنشر أو المساعدة في نشر ما يخل بالعلمانية يعاقب بالسجن من ستة أشهر إلى عامين.

ولم ينطو تطبيق هذه الإجراءات الأتاتورية على أي قدر من المرونة، بل تم تطبيقها بوحشية بالغة، وأبسط مثال نقدمه على ذلك: ما حدث في معركة الطربوش والقبعة؛ إذ وعى الأتراك المعنى الذي يقف

وراء ارتداء القبعة، واعتبروها رمزاً للكفر والتبعية الغربية، وأفتى الكثير من علماءهم بكفر من يرتديها، والذي حدث هو أن أتاتورك أمر بإعدام من أفتى بذلك من العلماء، «وقال أحد العلماء وهو على المشنقة: أموت دون أن ألبسها»، ويروي أحد شهود العيان المسنين «كنت أمر من الميدان الذي كان يتدلى فيه المشنوقون، لم يكن هناك أحد باستثناء بعض الجندرمة، وبدأت الريح تهب، ولا أستطيع أن أنسى منظر اللحية البيضاء، وهي ترف مع الريح «وأعدم أحد رجال الدين؛ لأنه كتب رسالة في تحريم القبعة قبل صدور قانون ارتدائها بعام»<sup>(١)</sup>.

«كما صار أي إجراء أو نقد شفوي للحكومة يُعد خيانة عظمى، تعاقب عليها محاكم الاستقلال بالموت

وخلاصة ما يؤخذ من هذه الواقعة أن موقف الغرب من بلادنا الإسلامية يتحدد في التالي: اتركوا الإسلام نترك لكم بلادكم. وهذا هو أفضل مدخل نستطيع أن نتفهم من خلاله واقع النموذج التركي، والجهود التي تستهدف العمل على تمثله في مرحلة ما بعد الربيع العربي.

وما أن تولى كمال الدين أتاتورك الحكم في تركيا حتى كشف عن حقه الدفين ضد الإسلام، فقام بإلغاء الخلافة الإسلامية، وأعلن فصل الدين عن الدولة، وإلغاء المحاكم الشرعية ووزارة الأوقاف، وتم طرد الخليفة عبد المجيد الثاني آخر الخلفاء وعائلته من البلاد، وأبطل وظيفة شيخ الإسلام، وأمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية الجديدة، وجعل الأذان للصلاة باللغة التركية، وأحل القوانين الوضعية، حتى في الأحوال الشخصية، بدلاً من

**كشف أتاتورك عن حقه الدفين ضد الإسلام، فقام بإلغاء الخلافة الإسلامية، وأعلن فصل الدين عن الدولة، وإلغاء المحاكم الشرعية ووزارة الأوقاف، وتم طرد الخليفة عبد المجيد الثاني آخر الخلفاء وعائلته من البلاد، وأبطل وظيفة شيخ الإسلام، وأمر بكتابة القرآن الكريم باللغة التركية الجديدة، وجعل الأذان للصلاة باللغة التركية، وأحل القوانين الوضعية حتى في الأحوال الشخصية، بدلاً من التشريعات الإسلامية**

التشريعات الإسلامية، وساوى بين الرجل والمرأة حتى في التجنيد والمواريث، وفرض منع الحجاب والنقاب، وفرض لبس القبعة بدلاً من الطربوش، وحذف من الدستور كون الإسلام دين الدولة، وتم تعديل المادة الثانية منه لتنص على أن «الدولة التركية هي جمهورية قومية مركزية علمانية ومتطورة».

ويشير الدستور التركي إلى استحالة تطبيق القواعد الدينية، ولو جزئياً، في كيان الدولة السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي والقانوني، كما لا يجوز إطلاقاً لأي إنسان أن يسيء استخدام المشاعر الدينية وقيمها المقدسة، بغرض تحقيق مآرب سلطوية، أو سياسية، أو مصلحة شخصية.

ويشير قانون العقوبات التركي في مادته ١٦٣ إلى أنه: يُعاقب كل من يؤسس أو يشكل، أو ينظم أو يدير

(١) الدين والدولة في تركيا (مرجع سابق) ص ١٣٤.

الأذان باللغة التركية، فأصبح الأذان باللغة العربية، كما أصبح القرآن الكريم يُتلى في محطات الإذاعة الرسمية، وأدخلت الدراسات الدينية، ومنحت الصفة القانونية لمدارس «إمام وخطيب» التي تتيح للطلاب تعليمًا دينيًا<sup>(٥)</sup>، وأشار مندريس في حملته الانتخابية عام ١٩٥٧م إلى «أن تركيا في السبع سنوات المنقضية بُني بها ١٥ ألف مسجد»<sup>(٦)</sup>.

وكان حزب العدالة هو أول حزب سياسي يتشكل بعد انقلاب ١٩٦٠م بزعامة سليمان ديميريل، ويعد امتدادًا للحزب الديمقراطي، ومن ثم فقد أشار بوضوح في نظامه الداخلي إلى أن الدولة العلمانية لا تطلب من المواطنين قطع علاقتهم مع الدين، وكل مواطن حر في أداء عبادته وفق معتقداته الدينية، وقد استطاع الحزب أن يفوز بـ ٥٣٪ من المقاعد عام ١٩٦٥م، وقد تم الاشتراك بينه وبين حزب أربكان «السلامة الوطني» في حكومة ائتلافية عام ١٩٧٤م، وبعد تزايد المد الديني إلى درجة إقامة مهرجان جماهيري في مدينة قونية، حضره مائة ألف تركي مطالبين بتحرير القدس، وتطبيق الشريعة الإسلامية؛ سارع الجيش بالانقلاب والاستيلاء على السلطة وحظر جميع الأحزاب.

بعد السماح بعودة الأحزاب عام ١٩٨٣م استطاع أربكان أن يشكّل حزب الرفاه الإسلامي، الذي واصل نجاحه حتى استطاع أن يشكّل ائتلافًا مع حزب الطريق المستقيم عام ١٩٩٦م يتولى بموجبه الزعيم الإسلامي نجم الدين أربكان رئاسة الحكومة.

تقدم الجيش التركي على إثر ذلك بمجموعة من المطالب إلى حكومة أربكان لإيقاف المد الإسلامي، بل والارتداد مرة أخرى إلى قواعد العلمانيين المتطرفة، الأمر الذي أدى بأربكان إلى الاستقالة عام ١٩٩٧م، وأحل الحزب نفسه بعد ذلك.

(٥) د. راغب السرجاني. قصة أردوغان: دار أقلام للنشر والتوزيع

والترجمة، ط ١: ٢٠١١م. ص ٢٣.

(٦) الدين والدولة في تركيا، مرجع سابق، ص ١٥٤.

فورًا، وألغيت حصانة النواب ضد الاعتقال، ودبّر أتاتورك الكمائن لاصطياد خصومه، فألقى القبض على زعماء المعارضة، وقدموا لمحاكم الاستقلال التي حكمت عليهم جميعًا بالشنق<sup>(١)</sup>.

ووصلت صرامته في تطبيق هذه الأحكام إلى درجة استصدار أحكام بالإعدام لبعض زملائه السابقين من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي.

والخلاصة هي أن تركيا في العهد الأتاتوركي قد غدت كما وصفها شكيب أرسلان «دولة مضادة للدين كالحكومة البلشفية في روسيا سواء بسواء»<sup>(٢)</sup>.

بعد إعلان التعددية في النظام السياسي التركي، فاز الحزب الديمقراطي بأغلبية مقاعد البرلمان بنسبة بلغت ٥٣,٥٪، وسريعًا ما طالب الحزب بعد توليه الحكم بإلغاء المبادئ الكمالية الستة، وقدم الحزب الديمقراطي رؤية جديدة للإسلام تراه عقيدة ودينًا للأتراك، مثله في ذلك مثل المسيحية للمجتمعات الغربية، وعبرت عن ذلك صحيفة الحزب (زافار) بقولها: «إن الحزب الديمقراطي قد وضع المبادئ النقية للإسلام أمامه، فهو المرشد والمساعد للعلم والتقدم، والفضيلة والأخلاق الحسنة»<sup>(٣)</sup>، بل إن رئيس الوزراء عدنان مندريس قال: «نعلن بأن تركيا مسلمة، وستبقى مسلمة، ويجب عدم إبقاء الطفل بعيدًا عن تعاليم الدين الذي يعد حقًا من حقوقه الطبيعية، وكذلك الشروح الإسلامية»<sup>(٤)</sup>.

وبوجه عام فقد شهد العقد الذي حكم خلاله الحزب الديمقراطي (١٩٥٠-١٩٦٠م) «توسيع وتعميد دور الإسلام في الحياة السياسية، فقد ألغت حكومة الحزب عام ١٩٥٠م القانون الذي ينص على أن يُرفع

(١) محمود ثابت الشاذلي: المسألة الشرقية. دراسة وثائقية عن الخلافة

العثمانية: مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩م. ص ٢٣.

(٢) سفر الحوالي.. العلمانية نشأتها وتطورها، مكتب الطب، الرياض، ص ٥٧٣.

(٣) الدين والدولة في تركيا: مرجع سابق ص ١٥٠.

(٤) المرجع السابق: ص ١٥٠.

التصنيع والتصدير، والمزج بين الزراعي (اكتفاء ذاتي) والصناعي (ثاني أكبر منتج لصفائح الزجاج في العالم، وسادس أكبر منتج للأسمت والألبسة الجاهزة على سبيل المثال)، والخدمات (دخل القطاع السياحي يزيد عن ٢٠ مليون دولار)، ومكافحة الفساد والرشاوي، والتدهور المالي، وزيادة القدرة الإنتاجية والتجارية، ورفع الناتج المحلي الإجمالي من حوالي ٤٧٠ مليار دولار عام ٢٠٠٣م إلى أكثر من تريليون ومائة مليار عام ٢٠١٠م، ورفع مستوى دخل الفرد من حوالي ٣٣٠٠ دولار عام ٢٠٠٢م إلى حوالي ١٣٣٠٠ ألف دولار عام ٢٠١٠م، والنهوض بالبلاد من حالة الانهيار الاقتصادي إلى المرتبة الـ ١٥ عالمياً خلال ٩ سنوات فقط.

٣- **على صعيد السياسة الخارجية:** تبني سياسة خارجية عقلانية مدروسة؛ تقوم على رؤية واضحة وعميقة لمعطيات المنطقة ومتغيراتها، وتأخذ بعين الاعتبار قدرات تركيا ومعطياتها الجيو-استراتيجية، والتزاماتها الخارجية؛ بما يحقق مصالحها أولاً وقبل كل شيء، دون وجود عقدة التعاون مع القوى الكبرى على أساس من الندية والاحترام المتبادل<sup>(٢)</sup>.

**ثانياً: موقف إسلامي الربيع العربي من العدالة والتنمية:**

١- **موقف إسلامي مصر:**

أ- **موقف الإخوان المسلمين:**

لم يكن موقف خيرت الشاطر نائب مرشد الإخوان - الذي صدم به الإعلامية العلمانية الشهيرة منى الشاذلي في برنامجها العاشرة مساءً- والذي أعلن فيه رفضه للنموذج التركي عندما ذكرت في سياق حوارها له قبول الإخوان لهذا النموذج كمسلمة .. أقول لن يكن موقفه هذا الأكثر إحباطاً لتطلعات العلمانيين بتمثل الإخوان المسلمين أو حزبها السياسي (الحرية

(٢) علي باكير، القوة الناعمة التركية في ميزان التحولات، مركز القاهرة للدراسات التركية:

تم تشكيل الفضيلة برئاسة رجائي قوطان نائباً عن أربكان الذي مُنح من ممارسة السياسة لخمس سنوات، وفاز الحزب بـ ١١٥ مقعداً عام ١٩٩٩م، وفي عام ٢٠٠٠م بدأ البروز الإعلامي لجيل من الشباب بزعامة أردوغان وعبد الله جول يطالب بتجنب الصدام مع العلمانية التركية وحرّاسها من العسكر، الأمر الذي انتهى بخروج مجموعة أردوغان من الفضيلة، وتشكيلها لحزب جديد هو حزب العدالة والتنمية الذي فاز بأكثر من ٣٤٪ في انتخابات عام ٢٠٠٢م، ثم على ٤٧٪ عام ٢٠٠٧م ثم على ٥٠,٥٪ عام ٢٠١١م<sup>(١)</sup>.

### إنجازات حزب العدالة والتنمية:

عادة ما يتم الترويج لنموذج العدالة والتنمية في العالم العربي، استناداً إلى ما حققه من إنجازات في العديد من المجالات في الفترة الوجيزة نسبياً التي اعتلى فيها الحياة السياسية في تركيا. ويلخص علي حسين باكير هذه الإنجازات في التالي:

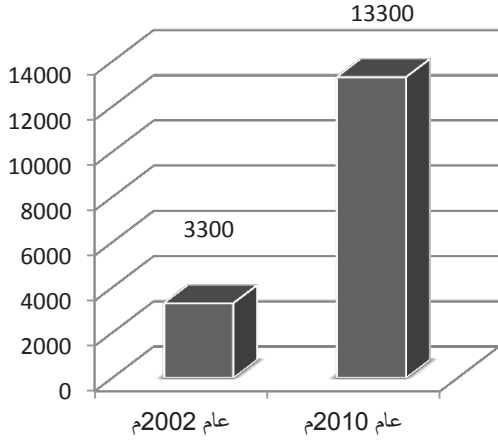
١- **على الصعيد السياسي:** تعزيز قيم الحرية والعدالة، والشفافية والنزاهة، والاستقامة، وحكم المؤسسات والقانون، والاحتكام إلى الشعب، وإلى صناديق الاقتراع، والاستناد إلى برنامج سياسي متكامل هدفه أولاً وأخيراً خدمة الناس، والنهوض بالدولة بدون تسرع في التنفيذ، وبعيد نظر ونفس طويل. ويكتسب هذا النموذج قوته من خلال ما أثبتته من قدرة على مزج مفاهيم ظل كثيرون يشككون طويلاً في إمكانية التقائها في مكون واحد، مفاهيم «مثل الديمقراطية والإسلام»، «الانفتاح والاستقلال»، «الإصلاح والاعتدال»، «التسامح والبرجماتية».

٢- **على الصعيد الاقتصادي:** توظيف كافة قدرات البلاد ومواردها الطبيعية والبشرية، والاعتماد على

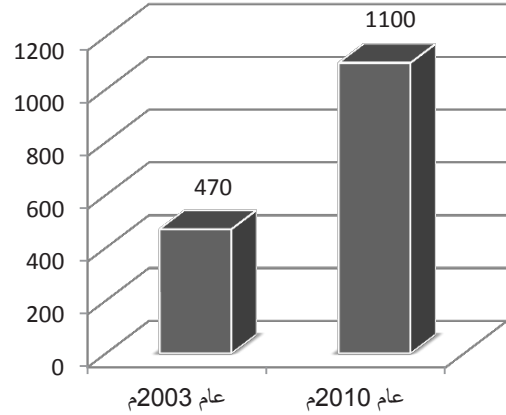
(١) حزب «العدالة والتنمية» يحقق فوزاً كبيراً في الانتخابات البرلمانية التركية، موقع العربية نت:



### مستوى دخل الفرد التركي (بالدولار)



### الناتج المحلي الإجمالي التركي (بالمليار دولار)



أن الدستور المصري ينص على أن الإسلام هو دين الدولة، وثقافته متجذرة في الوعي المصري<sup>(١)</sup>.

وشدد العريان على أن الخطاب الإخواني لم يتغير قبل الثورة ولن يتغير بعدها، والإعلام لعب دورًا غريبًا، إن لم نقل مريبًا في نقل موقف الإخوان المسلمين بصورة خاطئة «نحن لا نسعى وراء النموذج التركي، نحن نحاول استنباط نموذج من صلب حضارتنا»<sup>(٢)</sup>.

ولكن هذا الموقف من النموذج التركي لدى العريان لا يعني رفضه تمامًا، بل يمكن الاستفادة منه في بعض الجوانب؛ حيث يشرح العريان ذلك في مقال له بعنوان (تركيا النموذج والدولة)، فيذكر أن المرؤجين للنموذج العلماني يريدون تحقيق أهداف سياسة في مقدمتها:-

١- فرض علمانية إقصائية بغیضة، وربطها بالديمقراطية تعسفاً وجبراً، وينسى هؤلاء أن

والعدالة) المتضرع عنها لنموذج العدالة والتنمية التركي. فقد يمكن تفسير ذلك بأن الشاطر أحد أهم الذين يقعون على قمة التيار المحافظ في الإخوان.

لكن الموقف الأكثر إحباطاً لهم جاء من أقصى الطرف المغاير الذي تم الرهان عليه منذ عشرات السنين ليكون الأكثر توافقاً مع المخططات العلمانية الأمريكية في المنطقة، أقصد بذلك بما كان يعتاد أن يطلق عليه بالتيار الإصلاحية داخل الإخوان، والذي تم تقليصه في المرحلة الأخيرة، ومن قبل الإطاحة بالرئيس السابق في الانتخابات الداخلية للإخوان عام ٢٠٠٩م على وجه التحديد، وعلى لسان الدكتور عصام العريان آخر قادة هذا التيار داخل الإخوان، والذي يبدو من خلال كتاباته وتصريحاته الأخيرة أنه قد تمت مراجعة أفكاره هو نفسه.

حيث صرح العريان في اتصال مع جريدة «السفير» أن الاختلاف كبير بين تركيا والعالم العربي، وفي مصر تحديداً؛ فالدولة التركية لم تقع يوماً تحت نيران الاحتلال، كما أن تركيا التي تحاول جاهدة العودة إلى الإسلام غرقت لوقت طويل في العلمانية، وبقيت منفصلة تماماً عن ماضيها الإسلامي. في حين

(١) هيفاء زعيتير، هل يسقط شعار (الإسلام هو الحل) لصالح النموذج التركي؟ مجلة السفير العدد: ١١٨١٩، ٢١/٠٢/٢٠١١م:

<http://www.assafir.com/MulhakArticle.aspx?EditionId=177&MulhakArticleId=83439&MulhakId=1340>

(٢) المصدر السابق.

أنه حزب بمثابة إحدى العرصات القوية التي تجرّ الفكر السياسي الإسلامي، وتحديثه بشكل عصري؛ وذلك لأن الوسط يستند على ركيزتين هما: الفكر المدني، ومقومات قيادته وأفكارهم، وبالتالي فإن منهجهم لا يسمح بسيطرة جماعة إسلامية على الحزب، إلا إذا كانت أفكارهم تواكب هذا التطور»<sup>(٣)</sup>.

أما صلاح عيسى فذهب إلى أنه «أحد المتحمسين لحزب الوسط؛ باعتباره حلاً لإشكالية مهمة، باعتباره حزباً مدنياً يستند للحضارة الإسلامية»<sup>(٤)</sup>.

ويرى أحمد بركات «أن حزب الوسط الجديد الذي يمثل موقفاً وسطاً بين أيديولوجيتين متصارعتين على الساحة السياسية المصرية، هما: الأيديولوجية الليبرالية والإسلامية، وقد اختار لنفسه موقفاً استراتيجياً ليرى ما ستسفر عنه الأحداث، وما ستفضي إليه المرحلة الانتقالية، ومن ثم فهذه الأطروحة التهجينية التي يقوم عليها الحزب هي أطروحة تسيير في اتجاه الحدث ولا تصنعه، وهي من ثم أقرب إلى الاستراتيجية النفعية منها إلى المبدئية الأيديولوجية»<sup>(٥)</sup>.

ومع ذلك يذهب حسن منيمه إلى أن حزب الوسط «على الرغم من استحسانه نموذج العدالة والتنمية، ولكن مصر ما بعد مبارك قد تغريه بخطاب إسلامي أكثر أصولية، وأقل ليبرالية، لا سيما أن الحزب في بداياته قد لجأ إلى «سياسة التنمية» في مواجهة نظام مبارك، مثلما فعل العدالة والتنمية بحسب رؤية الإسلاميين العرب في مواجهة النظام العلماني التركي»<sup>(٦)</sup>.

(٣) شيماء فتحي - أسامة رمضان. الوسط سير على خطى العدالة والتنمية التركي، جريدة روزاليوسف العدد ١٧٥٩، الاثنين ٢٨ مارس ٢٠١١م.

<http://www.rosaonline.net/Daily/News.asp?id=106669>

(٤) المرجع السابق.

(٥) أحمد بركات، جدلية النموذج التركي والحركات الإسلامية العربية، موقع إسلام أون لاين.

(٦) المرجع السابق.

الديمقراطية التركية تصحح أخطاءها، وأن العلمانية التركية تتراجع بالتطبيق السليم للديمقراطية، وأن الفطرة النفسية للشعب التركي ظهرت خلال العقد الأخير، ولولا التراث الثقيل لعقود سبعة أو ثمانية لتخلصت تركيا من العبء العلماني.

٢- إعطاء دور سياسي للجيش لحماية النظام السياسي الديمقراطي<sup>(١)</sup> في الواجهة، وفي الحقيقة لحماية العلمانيين، أو الأقليات، أو المصالح الخارجية.

**وفي المقابل يرى الإسلاميون العرب جوانب أخرى مضيئة في النموذج التركي:**

١- أن الطريق السلمي للتطبيق الإسلامي هو النموذج الوحيد القابل للبقاء، وأن الطرق الأخرى عليها خلاف.

٢- أن تحقيق حاجات الناس الاقتصادية أولوية ملحة، وأن تمثيل كافة الشعب ضروري.

٣- أن السياسة الداخلية مقدمة على السياسات الخارجية، وأن دولة قوية متماسكة ديمقراطية يمكن أن تلعب دوراً مؤثراً.

٤- أن الشعب لا يمكن أن يعطي لحزب ما، مهما كانت نجاحاته، تفويضاً على بياض لفضل ما يريد»<sup>(٢)</sup>.

#### ب- موقف حزب الوسط:

يرى المحللون أن حزب الوسط هو أقرب الأحزاب المصرية إلى فكر العدالة والتنمية، ومن ثم فهم يرون أنه أكثر الأحزاب احتمالاً في العمل على تمثّل هذا النموذج التركي في الحياة السياسية، وقد يكون هذا الذي يفسر لماذا يحظى حزب الوسط برضا العلمانيين بوجه عام؟

فيذهب الدكتور عمار علي حسن إلى أن «ظهور حزب الوسط هو خطوة متأخرة بعض الشيء، خاصة

(١) عصام العريان، تركيا النموذج والدور، جريدة المصريون الإلكترونية: <http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=66097>

(٢) المرجع السابق.



نجاحات فما المانع من هذا؟».

### ج- موقف السلفيين:

السمة الأساسية للسلفيين هي التزامهم بالمرجعية المبدئية للإسلام، ومن هذا المنطلق، فيُفترض أن يكونوا أجدر التيارات باتخاذ مواقف محددة من حزب العدالة والتنمية، وعلى ذلك فإن دكتور ياسر برهامي يذهب إلى أنه «لا شك أن سن قوانين الكفر هي أعظم مفسدة من كل ما يمكن أن يترتب عليها من مصالح، كدخول الاتحاد الأوروبي، أو سكوت العلمانيين في الجيش عنهم، أو غير ذلك، فهذا ليس بإكراه شرعاً بأي اعتبار، وهو استحلال صريح لما حرّم الله، ولولا التأويل لكان لمن فعله وصوّت عليه حكم آخر»<sup>(٢)</sup>.

أما عبد المنعم الشحات (المتحدث الرسمي للدعوة السلفية)، فقد عبر عن رؤيته - كما اعتيد عنه - بوضوح وعمق، فلخص واقع الحال التركي بقوله:

«إن عبد الله جول نفسه عمل على المحافظة على علمانية البلاد، ودافع عن حجاب زوجته بأنه حرّيتها الشخصية، ولم يشأ أن يتطرق مطلقاً إلى كونه فريضة ربانية».

ومعلوم أن الحكومات «الإسلامية» المختلفة التي حكمت تركيا بداية من حكومة «أربكان»، ومن جاء بعده، التزمت باستخراج تصاريح البغاء للبغايا، بل إن إلغاء تحريم الزنا قد سنّه البرلمان الذي يسيطر عليه حزب العدالة<sup>(٣)</sup>، ومن الطرائف أن «أردوغان» قد صدق بصفته رئيساً للوزراء على قرار الجيش

(٢) عبد المنعم الشحات السلفيون ودخول الحجاب إلى القصر التركي، نقلاً عن دكتور ياسر برهامي، ١١ سبتمبر ٢٠٠٧م:

[http://www.salafvoice.com/article.php?a=1835&malaf\\_id=21&m\\_c\\_id=127](http://www.salafvoice.com/article.php?a=1835&malaf_id=21&m_c_id=127)

(٣) المرجع السابق.

ويؤكد الأستاذ علي عبد العال نفس الفكرة؛ حيث يذهب إلى أنه «في إطار الجهود العملية لاستتساخ فعلي على الأرض، تنظر أوساط ثقافية وإعلامية إلى «حزب الوسط باعتباره النسخة المصرية» من العدالة والتنمية؛ حيث ينطلق الحزب المصري من استلهام الحزب التركي الحاكم، ويربط مراقبون بين شخصية مؤسسه المهندس أبو العلا ماضي - القيادي السابق في الإخوان المسلمين- وبين شخصية رجب طيب أردوغان في الخلفية الإسلامية، مع التطور الفكري الذي يواكب العصر بمفهوم إسلامي «خاصة وأن ماضي كان قد أشاد بأردوغان وجماعته في مواقف ومناسبات عديدة»<sup>(١)</sup>.

أما مؤسس حزب الوسط نفسه أبو العلا ماضي فإنه يرى في العدالة والتنمية «نموذجاً ممتازاً لظروف تركيا»، خاصة في التحول الديمقراطي، وعلاقة الإسلاميين بالسلطة، وحجم

الإيجابيات غير المسبوق، مشيراً إلى أنه «قدم نموذجاً حقيقياً للإسلام بدون رفع لافتة صارخة .. والعبارة بالمضمون وليس باللافتات»، وفي حديثه لـ«الإسلاميون نت» لم يتذكر ماضي سلبية واحدة يأخذها على قيادات حزب العدالة والتنمية، خاصة أن خصومهم أنفسهم أقرروا بنجاحاتهم، وإن أشار إلى أنه «لا توجد تجربة تخلو من الأخطاء».

وحول مدى إمكانية استتساخ التجربة في مصر، يرى أبو العلا ماضي أنها تجربة «تستحق الاحترام، ويُستفاد منها»، لكنها في الوقت نفسه تجربة «لها خصوصية، ولا نستطيع التعميم، لو نجح أي حزب له مشروع كهذا، واستطاع الوصول إلى السلطة، ويحقق

(١) علي عبد العال، التجربة التركية.. في وعي الإسلاميين:

<http://www.algeriatimes.net/algerianews4534.html>

بإحالة عدد من الضباط إلى التقاعد بسبب ميولهم الإسلامية؛ تجنبًا للصدام مع الجيش، وقائمة الأعمال العلمانية لحزب العدالة طويلة جدًا لا تحفى على أحد، ولكن المدافعين عن حزب العدالة وغيره، ممن يتبنون هذا الاتجاه، يرون أن هذه المرحلة لا بد فيها من التعامل مع العلمانية؛ حيث إن العلمانية والغرب من ورائهم لن يسمحوا مطلقًا للإسلاميين بالتواجد إلا تحت مظلتهم.

ثم يحدد عبد المنعم الشحات موقفه بعد ذلك فيقول: «وموقفنا من هذا الاتجاه واضح، في أنه لا يُسَمَح بالمداهنة في مجال الدعوة، لاسيما وأن الداخلين في هذه اللعبة يزعمون أن ما يقولونه ويفعلونه هو من الدين، مما يجعل الدين ألعوبة في يد كل

متلاعب، وهذا يُفقد الناس الثقة فيما يُنسب إلى الدين، هل هو فيه بالفعل، أم أنها المساومات السياسية؟ وهل يمكن أن يُفتَى في بلد شديد التطرف في العلمانية بجواز استخراج الموظف المسلم لتصريح البغاء للبغياء مثلاً، ويعلل هذا بأنه ليس للحكومة الإسلامية شرعًا أن تمنع من أرادت أن تمارس الفاحشة بالقوة، وإنما غاية ما تملك هو نصحتها، بينما يُفتَى في بلد آخر أقل تطرفًا في تطبيق العلمانية - كالكويت مثلاً- بوجود سعي النواب الإسلاميين إلى منع الحفلات الماجنة؛ لأن من واجبات ولي الأمر الأخذ على أيدي الفاسقين، وينسب هذا وذاك إلى الشرع»<sup>(١)</sup>.

ويظن الشحات إلى هذه النتيجة الخطيرة «وما سيجني الإسلام إذا ما وجّه أبنائه المخلصون كل جهودهم ليصلوا إلى سُدة الحكم، ويطبقوا هم العلمانية بأيديهم، حتى وإن عملوا على كبح جماح

غلوها شيئًا فشيئًا»<sup>(٢)</sup>.

ولكن خطر ما يظن إليه الشحات هو ما جاء في تساؤله: «ومن الذي يضمن لنا عدم تشبع الأجيال الشابة من هذه الأحزاب الإسلامية بهذه الأفكار العلمانية التي يرون قادتهم يطبقونها، بل وينسبون الكثير منها إلى الإسلام»<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من الموقف المحدد

السابق، فلا يلبث الشحات أن يتابعه بعبارات يشوبها بعض اللبس والغموض، فيقول: «ولذلك فلا تخف -أخي السلفي- فرحتك بوصول رئيس إسلامي إلى القصر الرئاسي التركي، وإن كان إسلاميًا علمانيًا، ولا تخف فرحتك بدخول الحجاب إلى القصر الذي سنَّ سنَّة خلع الحجاب في قصور حكام المسلمين، وإن كان حجابًا تركيًا»<sup>(٤)</sup>.

## ٢- موقف إسلامي تونس:

### موقف النهضة التونسية:

مُنعت الحركات الإسلامية طوال عهدي بورقيبة وزين العابدين من تأسيس أحزاب تعبر عن مرجعيتها، وعلى امتداد ثلاثين عامًا من الوجود السياسي ظل حزب العدالة والتنمية ممنوعًا من النشاط العلني والقانوني، ولم تحصل حركة النهضة على الترخيص القانوني للمرة الأولى في تاريخها إلا في الشهر التالي من الثورة.

ويبدو أن أمام حزب النهضة وقتًا طويلاً حتى يتخلص من العديد من الإشكاليات السياسية

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(١) المرجع السابق.

منها على كتب ومؤلفات الشيخ راشد الغنوشي<sup>(٣)</sup>.

وقد دخلت حركة النهضة المرحلة الجديدة بخطاب سياسي مرن يريد طي صفحة الماضي، ويعطي تلميحات حول التزامها بقيم الديمقراطية، وحقوق الإنسان، ونبذ العنف، خصوصاً قبولها مجلة الأحوال الشخصية التي لا تجيز تعدد الزوجات، وتقر بالمساواة بين الرجل والمرأة، «فقد ورد في صحيفة لوتون (٦ فبراير ٢٠١١م) على لسان راشد الغنوشي «أن مجلة الأحوال الشخصية مستمدة من الشريعة، وأن تعدد الزوجات هو أمر ممنوع ومحسوم قانونياً، وأن الحجاب هو خيار شخصي، كما أقر بعدم إمكان ممارسة عقوبة الرجم وقطع اليد»<sup>(٤)</sup>.

ومع ذلك تأتي التصريحات المعبرة عن المواقف المترددة من المبادئ الإسلامية على لسان القادة التاليين للغنوشي في النهضة، مثال ذلك «التصريحات المزدوجة لحمادي الجبالي أمين عام الحركة بنفيه لمشروع تطبيق الشريعة في حوار نُشر في مجلة (ريالتي) بتاريخ (١٧ فبراير) من جهة، وتصريحه بالالتزام بما ورد بها بالحوار ذاته من جهة أخرى»<sup>(٥)</sup>.

وما نذهب إليه هو أن المناخ الذي مرت به الحركة الإسلامية في تونس يكاد يتطابق تماماً مع المناخ الذي مرت به الحركة الإسلامية في تركيا، فقد حارب بورقية ومن بعده زين العابدين التوجه الإسلامي، بل الإسلام نفسه في تونس، ووضع الأخير منهما أبناء الحركة -رغم ما قدمه الكثيرون منهم من تنازلات للعلمانية التونسية - بين خيارين لا ثالث لهما: إما الاعتقال، أو الهجرة خارج البلاد.

ولندع راشد الغنوشي يصف هذا التطابق، حيث يصف البلاد التي تعرضت لهجوم علماني شرس بقوله: «تلك التي طبقت فيها بشراسة ووحشية وتواطؤ

والفكرية التي خلفتها المرحلة السابقة، فما تزال تُهم الإرهاب والتطرف توجّه للنهضة من قِبَل العديد من فئات المجتمع التونسي؛ نظراً إلى ما خلفته أحداث باب سويقة، وغيرها في أوائل التسعينيات في النفوس، «يوم أن تسبب مناخ حركة النهضة في وفاة مواطن إثر إحراقهم مقرّاً للحزب الحاكم آنذاك، كما تعمد أعضاء في الحركة رمي مادة حارقة في وجوه أشخاص آخرين، وقد اعترفت قيادة الحركة في ٧ فبراير الفائت أن بعض أعضاء الحركة أخطئوا في الماضي، لكنهم أصروا على أن القيادات لم يكن لها علم بالموضوع، وأن تلك كانت أعمالاً فردية.

ومن ثم كان الوقت مبكراً جداً بالنسبة لحزب النهضة الذي لم يكن قد استرد عافيته، وعالج آثار ما مورس عليه من قهر طوال هذه السنوات، عندما أعاد فوز حزب العدالة والتنمية التركي في الانتخابات التشريعية للمرة الثالثة الجدل في تونس حول الإسلام السياسي، ومدى قدرته على ممارسة السلطة، والوصول بها إلى بر الأمان، فبينما ذهب راشد الغنوشي زعيم النهضة إلى أن النموذج التركي «أعاد النظافة، والانضباط والقانون والعمل للسياسة»<sup>(١)</sup> اعتبر علي العريض القيادي في حركة النهضة «أن الجدل حول الإسلام السياسي يكاد يكون محسوماً، فكل المؤشرات تدل على أن التيارات الإسلامية بإمكانها بناء ديمقراطية وتنمية تستجيب لطموحات الناس، وتحقيق التعايش السلمي بين مختلف التيارات السياسية»<sup>(٢)</sup>.

وبرغم مما سبق، فقد أكد العريض «أن حركة النهضة تنتظر بإعجاب كبير لتجربة حزب العدالة والتنمية، إلا أنها لن تسعى لاستنساخ نفس النموذج؛ نظراً للفوارق المهمة بين النموذجين، هذا على الرغم من اعتماد التجربة الإسلامية في تركيا في جزء كبير

(١) المنجي السعيداني، جدل حول الإسلام السياسي بعد فوز العدالة والتنمية:

<http://aawsat.com/details.asp?section=4&issue=11887&article=626643&feature=>

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

(٥) المرجع السابق.

على الظن أن الأمر يتعلق بتحويلات فكرية»<sup>(٢)</sup>.

ومن حيث النقد الذي يوجّه للعدالة والتنمية نظراً لما قدمه من تنازلات، يرد الغنوشي أن الإسلاميين الأتراك ليسوا هم وحدهم «من فرض عليهم صياغة أيديولوجيتهم بما يتواءم مع السياج المفروض عليهم، بل إن جملة التيار الإسلامي في العالم، ولاسيما في البلاد التي مُنيت بتحديث فوقي صارم، مثل تونس والجزائر ومصر، قد اضطرت للإقدام على نوع من تلك المواءمة»، فقد تخلى الكثير منهم عن مسمى الإسلام في الراية التي يرفعونها؛ للانسجام مع قانون الأحزاب، مع أنه لا أحد صرح بأنه قد تنازل عن شيء من إسلامه»<sup>(٣)</sup>.

ومع غرابة هذا الذي يقوله الغنوشي، فإنه أيضاً لا يرى في سعي القادة الأتراك للالتحاق بالاتحاد الأوروبي قدحاً، بل يعتبر هذا الحرص «نوْعاً من تجريد الخصم من سلاحه، وتجريد ظهيره الخارجي من أوهامه، وعرض صداقة بديلة عنه»، مشيراً إلى أن عرض الإسلاميين بالذات لهذه الصداقة أو الشراكة ترفع الغطاء عن المتطرفين العلمانيين والاستتصاليين، لا في تركيا فحسب، بل في عدد كبير من بلاد العالم الإسلامي، معتقداً أنه لا يعيب الشعب التركي أن يدخل أوروبا مسلماً، بقيادة إسلامية شابة، مدعومة بقوة من شعبها، متصالحة مع تاريخها ومع محيطها العربي والإسلامي.

### ثالثاً: الرؤى المختلفة لمشروع العدالة والتنمية؟

حاول الغنوشي أن يجيب عن هذا السؤال الذي يحاول الجميع الإجابة عنه: ما هي حقيقة مشروع العدالة والتنمية، وكانت حدود الإجابة عن هذا السؤال كالتالي:

هل هو تواصل مع نفس المشروع الذي بدأه مندريس، واستأنفه ديمريل، ثم تورجت أوزال، ووصل

(٢) التجربة التركية في وعي الإسلاميين، مرجع سابق.  
(٣) المرجع السابق.

دولي ومحلي خططُ الاستتصال، وتجفيف الينابيع، مثل تونس؛ بسبب ما تعرض له التدين والمتدينون من قهر على يد حكومات قمعية فاسدة، من مثل تسلط الدولة في تونس وتركيا على المؤسسات الدينية، وعلى ضمير المؤمنات بتجريم حقهن في التعبير عن تدينهن بحمل رداء التقى، كما تسببت في طرد الآلاف، وكبت الملايين وقهرهن وذويهن، وكذا حرمان أصحاب المشروع الإسلامي من حقهم الطبيعي والشعري في المشاركة في الشؤون العامة، ومنها العمل السياسي، وكبت كل تعبير ديني»<sup>(١)</sup>.

وفي قراءته للتجربة التركية، يشرح الشيخ راشد الغنوشي - زعيم حركة (النهضة) التونسية - ما حدث بأنه «ثورة بيضاء ضد منتظم سياسي ميت أصلاً، فجاءت صناديق الاقتراع لتعلن عن دفنه.. إنه من الناحية الرمزية إعلان كذلك عن إفلاس مشروع تركيا وتغريبها، وبداية النهاية لذلك المشروع».

وفي إطار الجدل حول إسلامية وعلمانية التجربة، يتابع الغنوشي في قراءته التي جاءت بعنوان: «العدالة التركي.. تجاوز أم تطور؟»، مؤكداً أنها «قاعدة إسلامية» وعت بيقين أن التماذي بنفس السياسات والوجوه «ليس من شأنه غير استمرار اشتباك غير قابل للتسوية، قد غدا معوقاً لتحقيق المشروع الإسلامي»، فلا مناص من التغيير في الخطاب والوجوه والتكتيكات فكان حزب العدالة والتنمية.. ولو أننا تأملنا في جملة ما أعلنه حتى الآن حزب العدالة والتنمية من سياسات -يتابع الغنوشي- لوجدناه امتداداً متطوراً لتراث الحركة الإسلامية التركية، مع مرونة أكبر في التنزيل، وحرص أكبر على ترتيب الأولويات بطريقة عقلانية ذكية خاصة أنه لم يصدر عن جماعة العدالة والتنمية تصريحات، مما يحمل

(١) راشد الغنوشي، قراءة في تجربة حزب العدالة والتنمية التركي، مجلة الشهاب الإلكترونية:

<http://www.chihab.net/modules.php?name=News&file=print&sid=282>

وهذا في الحقيقة خلط كبير وواضح إلى الدرجة التي قد تنطوي على سوء النية؛ لأن المرجعية الأريكانية والمواقف والإشارات، بل والتورطات الدالة على توجه أريكان لإقامة مشروع إسلامي كامل، وليس مجرد بلوغ علمانية معتدلة أكثر من أن تذكر.

**أما إمكانات الإجابة عن سؤال ما حقيقة مشروع العدالة والتنمية؟ فأرى أنه يمكن تحديدها في الإمكانيات التالية:**

- مشروع يلتزم بالقواعد العلمانية شكلاً، ويضمّر السعي نحو المشروع الإسلامي الشامل.

- مشروع يسعى إلى استبدال العلمانية التركية المتوحشة بعلمانية معتدلة تحافظ على ما يسمى بالهوية الحضارية الإسلامية.

- مشروع يتنازل عن المشروع الإسلامي، وينطوي على رؤية استسلامية، تعني أن الاكتفاء بالجانب الروحي، والتوافق مع العلمانية هو غاية ما يمكن تحقيقه من جانب الإسلاميين.

- مشروع برجماتي (إسلام ليبرالي)، يقدم حلاً توافقياً (يعمل على تأويل الإسلام للتوافق مع العلمانية القائمة) في سبيل النجاح الواقعي للتقدم التركي، أو لقيادة الحزب، أو لكليهما على السواء.

أما الاحتمال الأول فيذهب إليه عتاة العلمانية التركية كما يقول الغنوشي.

أو يتظاهرون بالذهاب إليه بغرض الإجهاد على ما تبقى من روحانية إسلامية لا يطبقها ما يضمرونه من غلّ وتعصب ضد الإسلام، كما جاء في دعوى

أوجه مع أريكان؟ ... مشروع مصالحة تركيا الحديثة مع تاريخها وهويتها؛ من خلال الحد من التطرف العلماني للدولة في عداتها للدين في مسعى لاستبدال علمانية متطرفة بأخرى معتدلة هي أقرب إلى النوع الأوروبي الذي يغلب عليه الحياد إزاء المسألة الدينية، وذلك بالإفادة من التجارب السابقة، باعتماد مرونة أكبر في خدمة نفس المشروع؛ بما يحفظ جوه ويتخلّى ولو ظرفياً عن بعض مظاهره، من أجل فتح أبواب التطور في وجهه بعيداً عن أسباب التصادم مع الباب العالي؟

- أم أن مشروع العدالة والتنمية هو تنازل عن مشروع الحركة الإسلامية، بل خيانة له، وفي أفضل الأحوال الرهان على ما سماه البعض بالعلمانية الإسلامية؟

- أم هو ما اعتبره أنصار مؤسس المشروع البروفيسور نجم الدين أريكان إيثاراً لملاذ السلطة، والعيش تحت الأضواء، وإرضاء العسكر ومؤسسة المال والإعلام والأمريكان؟

- أم هو تنازل عن جوهر المشروع الإسلامي، واستسلام للعلمانية وانتصار نهائي لها، كما روج لذلك بعض عتاة العلمانية في بلادنا مبدين فرحة صفراء بانتصار العدالة والتنمية؟

وقبل أن أقدم صيغة مختصرة لما قدمه الغنوشي من إمكانيات أو احتمالات، وتعديلها بطريقة أوفق وأكثر تحديداً من وجهة نظر كاتب هذه السطور، يستوفني ما جاء في الإمكان الأول من مطابقة الغنوشي لمشروع أريكان مع مشروع مندريس وسليمان ديميرل، والذي حدده في السعي إلى استبدال العلمانية المتطرفة لتركيا بعلمانية معتدلة أقرب إلى النوع الأوروبي.

**في قراءته للتجربة التركية، يشرح الشيخ راشد الغنوشي - زعيم حركة (النهضة) التونسية - ما حدث بأنه «ثورة بيضاء ضد منتظم سياسي ميت أصلاً، فجاءت صناديق الاقتراع لتعلن عن دفنه.. إنه من الناحية الرمزية إعلان كذلك عن إفلاس مشروع تركيا وتغريبها، وبداية النهاية لذلك المشروع»**



## إمكانات الإجابة عن سؤال «ما حقيقة مشروع العدالة والتنمية؟»

مشروع يسعى إلى استبدال العلمانية التركية المتوحشة بعلمانية معتدلة تحافظ على ما يسمى بالهوية الحضارية الإسلامية.

مشروع يلتزم بالقواعد العلمانية شكلاً، ويضمر السعي نحو المشروع الإسلامي الشامل.

مشروع برجماتي (إسلام ليبرالي)، يقدم حلاً توافقياً يعمل على تأويل الإسلام للتوافق مع العلمانية القائمة) في سبيل الذجاح الواقعي للتقدم التركي، أو لقادة الحزب، أو لكليهما على السواء.

مشروع يتنازل عن المشروع الإسلامي، وينطوي على رؤية استسلامية، تعني أن الاكتفاء بالجانب الروحي، والتوافق مع العلمانية هو غاية ما يمكن تحقيقه من جانب الإسلاميين.

سبباً يدعو لتجربتها من «الوصف الإسلامي»<sup>(٢)</sup>.

وقد يكون الدكتور راغب السرجاني من أكثر المتحمسين لهذا الاتجاه، وقد كتب كتاباً في ذلك يبلغ أربعمئة صفحة (قصة أردوغان) يكيل فيه المديح لأردوغان والعدالة والتنمية، ويؤكد فيه هذه الرؤية، فيذكر تصريح أردوغان الأول بعد فوزه بالانتخابات بأن حزبه سيلتزم بالمبادئ العلمانية التي ينص عليها الدستور التركي، ثم يعلق على ذلك فيقول: «والذي لا يفقه الواقع التركي قد يأخذ على أردوغان مثل هذا التصريح، ولكن أردوغان كان يعلم أنه يعيش في دولة تملؤها التناقضات، فتركيا خليط من إسلام وعلمانية، عثمانية وأوروبية، ديكتاتورية وديمقراطية، حكم الشعب وحكم العسكر، فالشارع يملؤه الإسلام، ودستوره يحاربه! هذا هو الواقع الذي يجب التعامل معه بالحكمة والرهان على النفس الطويل في التطوير، وتأجيل طرح المحاور المثيرة، وإعادة ترتيب الأولويات، والبدء بقضايا المعاش،

المدعي العام التركي في ١٤ مارس ٢٠٠٨م ضد حزب العدالة والتنمية الحاكم، مطالباً فيها بحظره ومنع ٧١ من قياداته - وفي مقدمتهم أردوغان وعبد الله جول- من ممارسة النشاط السياسي لمدة خمس سنوات؛ بدعوى «تحول الحزب إلى بؤرة لمعاداة النظام العلماني، وتبنيه أجندة إسلامية خفية لإسقاط النظام الأتاتوركي العلماني»<sup>(١)</sup>.

ولكن الأهم من ذلك أن هذه هي رؤية الكثيرين من الإسلاميين إلى جانب حزب العدالة والتنمية، يأتي على رأس هؤلاء الدكتور صدر الدين البيانوني (المراقب العام لإخوان سوريا) حيث أبدى البيانوني «تفهمه لحاجة اللاعبين الأتراك ل(المصانعة)؛ نظراً لخصوصية وظروف الدولة التركية والمجتمع التركي، فحين تفهم الإسلاميون الأتراك شروط الحركة في بلادهم؛ تكييفوا معها، ونشطوا من خلالها، ومن ثم حققوا تجربة ناجحة لا يجد المراقب العام لإخوان سوريا

(٢) التجربة التركية في وعي الإسلاميين، مرجع سابق.

(١) قصة أردوغان، ص ١١٩ مرجع سابق.



أو كما يقول الدكتور طارق عبد الجليل عن الاتجاه المعتدل للعدالة والتنمية: «لقد اهتدى بعد مراجعة ذاتية جدية إلى ضرورة انتهاج مقاربة جديدة حيال متطلبات الديمقراطية الليبرالية، وعضوية تركيا للاتحاد الأوربي، وتبلورت هذه الرؤيا في تشكيل حزب سياسي جديد هو حزب العدالة والتنمية في ١/٨/٢٠٠١م، لا ينتمي إلى رؤية الحركة الأربكانية، وهو ما يمثل رؤية عُرفت بـ«العثمانية الجديدة»، وتعد امتداداً لرؤية الرئيس التركي الراحل تورجوت أوزال، وتقوم على الانفتاح تجاه مختلف التيارات والقوى الوطنية، مع التمسك بالقيم والتقاليد الوطنية من أجل تحقيق نهضة الدولة داخلياً، وتعزيز مكانة تركيا خارجياً»<sup>(٦)</sup>.

وكما يقول ياسر الزعاطرة في مقال له بعنوان (حول انتصار النموذج الإسلامي العلماني التركي): «كان قادة العدالة والتنمية منسجمين مع أنفسهم؛ حيث أعلنوا أنهم حزب علماني، ورفضوا ومازالوا يرفضون بعنف مقولات البعض أنهم حزب إسلامي، حتى لو أضيفت له عبارات مثل معتدل أو متتور أو ما شابه، كما ذهب أردوغان في أحد تصريحاته»<sup>(٧)</sup>.

أما الاحتمال الثالث، وهو أن العدالة والتنمية مشروع يتنازل عن الأسس الإسلامية وينطوي على رؤية استسلامية للواقع التركي، فهي رؤية يذهب إليها كثير من الباحثين، منهم أديب عساف بكر وأغلو الذي يقول: «صحيح أن حزب العدالة والتنمية نجا من الملاحظات القضائية التي رفعها ضده العلمانيون، لكن يبدو أنه قد فقد شيئاً من طاقته الإصلاحية، وقد ظهر ذلك جلياً في الانتخابات البلدية الأخيرة

وحقوق الإنسان، واحترام القانون، ومقاومة الفساد في نخبة الحكم، وتهيئة البلد للانضمام إلى أوروبا؛ حيث وجد أردوغان في المعايير الأوروبية سبيلاً آخر للتقوي على العلمانيين، والحد من سيطرة العسكر المطلقة»<sup>(٨)</sup>.

وعلى هذا الأساس السابق فأردوغان لدى السرجاني «إمام من أئمة المسلمين»<sup>(٩)</sup> ليس هذا فقط بل «زعيم ينتظر منه أن يغيّر حركة التاريخ، وأن يضع الأمة الإسلامية في مكانتها اللائقة»<sup>(١٠)</sup>. ولذلك فهو ينصحه أن يصحب العلماء الصالحين، ويقول له: «لا تكثف بعلماء تركيا، ولكن انظر إلى علماء المسلمين جميعاً، فتواصل معهم، واطلب نصحتهم، واسمع لهم وتقبل منهم، واحرص على دعائهم»<sup>(١١)</sup>.

أما الاحتمال الثاني، وهو النظر إلى حقيقة مشروع العدالة والتنمية على أنه مشروع يسعى إلى استبدال العلمانية التركية المتوحشة بعلمانية معتدلة؛ تحافظ على ما يسمى بالهوية الحضارية الإسلامية، فهي وجهة النظر للعلمانيين التقليديين، بل والإسلاميين التقليديين أيضاً إلى حزب العدالة والتنمية، يقول الدكتور فؤاد السعيد عن النموذج التركي في دراسته المنشورة بمجلة شرق نامة: «إنه يتضمن حقيقة التطورات في الفكر السياسي التركي التي تمكنت أخيراً مع حزب العدالة والتنمية من التوفيق بين الالتزام بتقاليد الدستور العلماني التي تعني الوعي بخطورة إقحام الدين في السياسة بشكل مباشر، واحتكار الحق في استخدامه بالدعاية السياسية، وبين التمسك بالتراث الإسلامي، باعتباره جوهر الهوية الثقافية للمجتمع التركي»<sup>(١٢)</sup>.

(٦) تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، مقال الجيش والحياة السياسية تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، مجموعة من الباحثين، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٩م: ص ٦٥.

(٧) ياسر الزعاطرة، حول انتصار النموذج الإسلامي العلماني التركي، موقع الجزيرة نت، الخميس ٧/٨/٢٠٠٨:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/63AC271E0EF74DC699A43C8BF802A179.htm>

(٨) قصة أردوغان، مرجع سابق: ص ٩٥.

(٩) المرجع السابق: ص ٢١٢.

(١٠) المرجع السابق: ص ٢١١.

(١١) المرجع السابق: ص ٢٢٤.

(١٢) فاتن نصار، بعد الثورات العربية .. النموذج التركي هو الحل، موقع علامات أون لاين الإلكتروني:

<http://www.alamatonline.net/I3.php?id=362>

- المنظور البرجماتي لصالح الدعوة الإسلامية في تركيا .

- المنظور البرجماتي لصالح الدعوة الإسلامية في الربيع العربي .

### المنظور العقائدي:

لكي نحكم على إسلامية أو عدم إسلامية حزب العدالة والتنمية، فإننا لكي نستطيع أن نقدم الإجابة الأكثر اختصاراً لذلك لا بد أن نتساءل هل حزب العدالة والتنمية يطبق الشريعة الإسلامية أو يدعو إلى هذا؟

الإجابة على ذلك هي لا بالطبع، ولكن تلك الإجابة قد لا تعني شيئاً في ظل الضغوط القاهرة التي يواجهها الحزب في الداخل، والتي يقر الجميع بكونها القاهرة، هذا بخلاف الضغوط التي يواجهها من الخارج، الأمر الذي يعني أنه يمكن تبرير موقف الحزب استناداً إلى حكم الإكراه في الإسلام؛ حيث لا يستطيع الحزب مجرد الإشارة إلى موضوع الشريعة، فما بالك بالمطالبة بتطبيقها، كما أن توجهات السياسة الخارجية التي تستهدف العمل على تحقيق مصالح الأمة الإسلامية تدعو إلى الاعتقاد بأن الحزب يُضمّر السعي نحو التطبيق التدريجي للإسلام الشمولي .

لكن القواعد الإسلامية تقرر حدوداً معينة للإكراه، تدور حول دفع الخطر الشديد؛ كالتهديد بالموت، وليس جلب المصالح، على شروح لا يتسع لها المجال هنا. أي أن حدود الإكراه لا يمكن أن تتوافق مع إقرار علمانية الدولة، وإعلان علمانية الحزب، وتمجيد صنم العلمانية أتاتورك، وادعاء أن العلمانية تتوافق مع الإسلام، بل والدعوة إلى تأسيس شعوب الربيع العربي دولها الجديدة على الأسس العلمانية، أو أن ذلك لا يتعارض مع الإسلام في أفضل الظن عند من يذهبون إلى أن أقوال الرجل (أردوغان) تعرضت للتعني عند الترجمة .

في ٢٩ مارس ٢٠٠٩م، فأردوغان الذي سبق أن وعد بتحقيق مستقبل ديمقراطي مزدهر اقتصر على تحذير الناخبين من كون «البدائل الأخرى ستجلب مستقبلاً سيئاً» إذا لم يتم التصويت لصالح حزبه .

هذا الأسلوب - على ما يبدو - يؤشر لنهاية نمط من الخطاب السياسي ساد في فترة معينة، وهو لا يعد فشلاً لحزب العدالة والتنمية، وإنما يمكن اعتباره نجاحاً للمؤسسة العلمانية التي استطاعت التقليل من طموحات برنامج معتقي الإسلام السياسي في تركيا، ومن سقف خطابهم السياسي، فعلى سبيل المثال وعلى ذكر الخطاب، فقد أوضح حزب العدالة والتنمية أن الحجاب - الذي هو أهم عنصر من عناصر الإسلام السياسي في تركيا - لم يكن يدخل ضمن أولوية أجندة الحزب، وفيما يتعلق بالخيارات الأيديولوجية، فإن حزب العدالة والتنمية يعرف نفسه باعتباره حزباً «ديمقراطياً محافظاً»<sup>(١)</sup>.

أما الاحتمال الرابع فلا يمكن الذهاب إليه قبل التساؤل عن أي معايير نحتكم إليها في النظر إلى حقيقة العدالة والتنمية، وهو ما سنتناوله فيما يلي .

### رابعاً : من أي منظور نحكم على النموذج التركي؟

أرى أنه لكي نستطيع أن نحكم على النموذج التركي بالفشل أو النجاح أو ندعو التيارات والأحزاب الإسلامية في الربيع العربي إلى التمثل به من عدمه؛ أنه لا بد أن نحدّد من أي منظور نتحدث أولاً .

### وأقدم هنا منظورين للتعامل مع الموضوع:

- المنظور العقائدي .

- المنظور البرجماتي (المصلحي) .

والمنظور الأخير ينقسم بدوره إلى:

(١) تركيا بين تحديات الداخل ورهانات الخارج، مقال المؤسسة العلمانية والإسلام في تركيا، مرجع سابق: ص ١٣٠ .

الضغط على العدالة لتقديم تنازلات أكبر من جانبه، هذا الظن يدفعه الفكر التثظيري لقيادات الحزب، وعلى رأسهم أحمد داود أوغلو (وزير الخارجية)، والذي يعد بمثابة الأستاذ لأردوغان نفسه من الناحية الفكرية (وهي الصفة التي يحدثه بها)؛ حيث يرى أوغلو أن الهدف من العمل الإسلامي «هو تحقيق المقاصد، بصرف النظر عن الآليات التي يمكنها تحقيق ذلك، وهذه المقاصد هي الضروريات الخمس التي عبّر عنها بحماية الحياة، وحماية الفكر والدين، والممتلكات، وتحقيق العدل، ويمكن لآية آية أن تكون شرعية طالما حققت تلك المقاصد والقيم، وانطلاقاً من هذا يرى أن مسؤولية المفكرين الإسلاميين هي تفسير وترجمة النظم السياسية، وآليات وقتنا الحاضر، ومحاولة تحقيق انسجام وتجانس جديد بين قيم المجتمع والآليات التي يمكن العثور عليها في الهياكل القائمة»<sup>(1)</sup>.

وهذا الكلام الذي يذهب إليه هو تحديداً جوهر ما يسمى الإسلام الليبرالي، كما أنه يتطابق تماماً مع أفكار مفكرين

من أمثال جمال البنا؛ حيث تغدو مقاصد الدين هي الغاية، والآليات العلمانية هي الوسيلة، ومن ثم يتم التنازل عن الشريعة كاملة، ويفرغ الدين من محتواه، في الوقت الذي لا تصلح فيه الغايات إلا إذا كانت الوسائل المؤدية إليها من نفس نوعها.

أما من المنظور البرجماتي المصلحي للأمة، فإنه حتى على فرض صحة ظن إضمار العدالة للعمل على تطبيق الإسلام الشامل، فإن نجاحهم في ذلك يظل

من ناحية أخرى، فإن الشيء الواضح وضوح اليقين الذي لا تشوبه ذرة لبس أنه إذا كان هناك من يبرر للنموذج التركي عدم تطبيق الشريعة؛ نظراً للظروف القاهرة التي يتعرض لها في الداخل، فإن هذه اللادينية لا يجوز للتيارات والأحزاب الإسلامية في الربيع العربي تمثيلها بأية حال؛ نظراً لعدم تعرضها لمثل هذه الظروف القاهرة، وإلا فلماذا قامت بالربيع العربي أصلاً حتى وإن كانت ما تزال تتعرض للكثير من الظروف الضاغطة.

### من المنظور البرجماتي:

قد يكون من غير المفيد الجدل حول إيجابية ما أحرزه حزب العدالة والتنمية من إنجازات على عدة أصعدة، خصوصاً على الصعيد الاقتصادي؛ وذلك من المنظور البرجماتي المادي البحت، وإن كانت حكومة أربكان قد حققت نفس النجاح في المدة المناظرة للمدة القصيرة التي تولتها هذه الحكومة.

لكن الأمر يتعرض للكثير من

الجدل إذا تحدثنا عن مدى ما أحرزه الحزب من تقدم للدعوة الإسلامية في تركيا من المنظور البرجماتي المصلحي لهذه الدعوة، فما نذهب إليه أن مواقف الحزب في هذا الاتجاه تعني تقديم رؤية استسلامية لواقع طغيان السيطرة العلمانية على الدولة، وكأن ذلك قدر قاهر لا يمكن تغييره، ومن ثم يكون العمل على التوافق مع العلمانية والاكتفاء بالإسلام الحضاري، هو بديل للدعوة لتطبيق الإسلام الشمولي، وإجهاض لها.

أما الظن من جانب بعض الإسلاميين بإضمار الحزب التخطيط لتطبيق الإسلام الشمولي، وهو الظن الذي يدعي موافقتهم فيه بعض عتاة العلمانية؛ بهدف

**إذا كان هناك من يبرر للنموذج التركي عدم تطبيق الشريعة؛ نظراً للظروف القاهرة التي يتعرض لها في الداخل، فإن هذه اللادينية لا يجوز للتيارات والأحزاب الإسلامية في الربيع العربي تمثيلها بأية حال؛ نظراً لعدم تعرضها لمثل هذه الظروف القاهرة، وإلا فلماذا قامت بالربيع العربي أصلاً حتى وإن كانت ما تزال تتعرض للكثير من الظروف الضاغطة**

(1) د. عبد الوهاب المسيري، انسجام القيم الثابتة والآليات المتغيرة على الدوام، موقع الجزيرة نت:

<http://www.aljazeera.net/NR/exeres/3C32E94A4D1A4C0A9581132D54DE8624.htm>

- تعرض العقيدة الإسلامية ذاتها للخطر الجسيم نتيجة إسباغ الشرعية للدراسات والكلديات الإلهية في تركيا، وأمثالها في الدول الإسلامية التي تعمل على تأويل العقائد الإسلامية إلى تأويلات علمانية ملحدة، مثل تأويلات حسن حنفي التي تدرّس في الكلديات الإلهية التركية.

- نشر روح الهزيمة والتبعية للغرب، وهو الأمر الذي يتجاوز التمثل للتصالح المفاهيمي بين الإسلام والمفاهيم والقيم الغربية، الذي ينتهجه حزب العدالة والتنمية، إلى تمثيل الممارسات السياسية الفعلية لحزب العدالة الحليف الاستراتيجي لأمريكا التي تسعى إلى نشر نمودجه في العالم الإسلامي أجمع.

مغامرة ضئيلة الاحتمال تتم في مقابلها خسائر جسيمة على مستوى الأمة؛ نتيجة توجه العدالة والتنمية لهذا الاتجاه، ودعوة باقي الأمم الإسلامية إلى تمثله، ومن أهم هذه الخسائر -من وجهة نظر الباحث-:

- زرع البلبلة والخلط في عقول الناس في المجتمعات الإسلامية بادعاء توافق الاتجاه العلماني مع الإسلام.

- وإسباغ الشرعية على الأحزاب العلمانية القائمة، ومنحها التبرير لممارساتها الاستبدادية ضد الإسلاميين المنادين بتطبيق الشريعة.

- الترويج للأحزاب التي تدعي الإسلامية، وتعلن أن هويتها الإسلام الليبرالي المعتدل.

## معلومات إضافية

### نجم الدين أربكان:

أبرز زعماء تيار الإسلام السياسي في تركيا، وأخطر من تحدى قواعد العلمانية الكمالية المتشددة التي حكمت بلاده منذ أواسط عشرينيات القرن الماضي، وساهم مساهمة فعالة جداً في تدوير الجليد بين الأتراك والعرب، وبين الأتراك وبقية المسلمين في العالم. من خلال إحياء الثقافة الإسلامية، ونشر اللغة العربية التي كان يفهمها جيداً. وذلك قبل أن يصبح رئيساً للوزراء، وقبل أن يطاح به من قبل الجيش، سنة ١٩٩٦م، بدعوى تقويضه للنظام العلماني المفروض في تركيا، والسعي لتطبيق الشريعة الإسلامية.

بدأ أربكان حياته متفوقاً في دراسته، وأنهى دراسته الثانوية عام ١٩٤٣م، ليلتحق بكلية الهندسة الميكانيكية، التي تخرج منها سنة ١٩٤٨م، وكان الأول في دفعته، مما أهله لأن يكون معيداً فيها. وفي ١٩٥١م أرسل في بعثة إلى ألمانيا لينال في ١٩٥٣م شهادة الدكتوراه في هندسة المحركات.

وقد عاد إلى تركيا ليعمل أستاذاً في الجامعة، وابتكر محرك دبابات يعمل بكل أنواع الوقود. وفي ١٩٦٥م كان عمره ٢٩ عاماً، أي أصغر أستاذ جامعي في تركيا آنذاك، وهو أول صانع لمحرك ديزل لا تزال الشركة المصنعة تعمل على إنتاجه حتى الآن.

أصبح رئيساً لاتحاد النقابات المهنية، ثم انتُخب عضواً في مجلس النواب عن مدينته قونية، لكنه مُنع من المشاركة في الحكومات المختلفة .

أنشأ أربكان عام ١٩٧٠م حزب النظام الوطني، الذي كان أول تنظيم سياسي يعلن بوضوح هويته الإسلامية، منذ ردة مصطفى كمال أتاتورك، وحمله تركيا على الردة الشاملة سنة ١٩٢٤م.

ولم تمض ٩ أشهر حتى تم حل الحزب، بعد إنذار من قائد الجيش آنذاك محسن باتور؛ حيث أقامت الحكومة دعوى ضد الحزب، فأصدرت محكمة أمن الدولة العليا قراراً بحل حزب النظام الوطني، ومصادرة أمواله وممتلكاته بعد أن جرّمته بتهمة انتهاك الدستور العلماني، والعمل على إلغاء العلمانية، وإقامة حكومة إسلامية في تركيا، والعمل ضد مبادئ أتاتورك، وحكمت المحكمة بمنع أي عضو في الحزب من العمل في الحزب من العمل في حزب آخر، أو تأسيس حزب آخر، أو ترشيح نفسه للانتخابات، ولو بشكل مستقل، وذلك طيلة خمس سنوات.

وبعد صدور حكم محكمة أمن الدولة العليا بحل حزب النظام الوطني، وحرمان مؤسسه وأعضائه من العمل السياسي لمدة خمس سنوات، غادر البروفيسور أربكان تركيا.

في عام ١٩٧٢م عاد البروفيسور أربكان إلى تركيا ليدفع ببعض الإسلاميين ممن لا ينطبق عليهم حكم محكمة أمن الدولة العليا لتشكيل حزب جديد أطلق عليه اسم حزب السلامة الوطني، وتأسس الحزب في ١١ أكتوبر ١٩٧٢م، وأصدر في ١٢ يناير ١٩٧٣م صحيفته الرسمية «مللي غزته».

في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣م صدر عفو عام عن الجرائم السياسية، فخاض حزب السلامة الوطني بعد أن عاد أربكان إلى رئاسته الانتخابات وفاز بـ ٤٨ مقعداً، وعندما احتدم الخلاف بين الحزبين الرئيسيين، حزب العدالة (١٤٩ نائباً) بزعامة سليمان ديميريل، وحزب الشعب الجمهوري -الذي أسسه أتاتورك- (١٨٦ نائباً) بزعامة بولنت أجاويد، اضطر أجاويد زعيم حزب الشعب الجمهوري للائتلاف مع حزب السلامة الوطني بزعامة أربكان، وحصل حزب السلامة على سبع

وزارات مهمة منها الداخلية والعدل والتجارة، والجمارك والزراعة، والصناعة، والتموين، ووزارة دولة، وكان البروفيسور أربكان نائباً لرئيس الوزراء.

شارك أربكان رئيس الوزراء بولند أجاويد في اتخاذ قرار التدخل في قبرص في نفس العام. ومنذ ذلك الحين أصبح التيار الإسلامي معترفاً به في تركيا عملياً. وكان أربكان واضحاً في مطالبه، وهو ما أجاج الحرب ضده من قبل خصوم تركيا الحضارية؛ حيث طالب بتجريم الماسونية، أو منعها في تركيا، وإغلاق محافلها المشبوهة .

كما عمل على توسيع الاتصالات والانفتاح مع العرب والمسلمين، وتبني القضية الفلسطينية، وإعلان عدائه للكيان الصهيوني الذي اغتصب الأرض، وهجر الشعب الفلسطيني، واستولى على أراضيه، ودنس مقدساته.

وفي عام ١٩٨٠م تقدم بمشروع قطع العلاقات مع الكيان الصهيوني، وحجب الثقة عن وزير الخارجية آنذاك خير الدين أركمان بسبب تأييده للكيان الصهيوني .

وبدا التغلغل الصهيوني واضحاً في الجيش التركي، بعد قيام الجنرال كنعان ايفيرين بانقلاب على الحكومة بعد تلك السلسلة من المطالب والإنجازات. وأدخل أربكان السجن حتى سنة ١٩٨٣م حينما أسس حزب الرفاه الوطني، الذي شارك في الانتخابات التي جرت في نفس العام، ولم يكن مستعداً لها، لكنه في انتخابات ١٩٩٦م حصل على الأغلبية، ليترأس أربكان حكومة ائتلافية مع حزب الطريق القويم برئاسة تانسو تشيلر.

خلال أقل من عام قضاه رئيساً للحكومة التركية، سعى أربكان إلى الانفتاح بقوة على العالم الإسلامي، حتى بدا وكأنه يريد استعادة دور تركيا الإسلامي القيادي، فبدأ ولايته بزيارة إلى كل من ليبيا وإيران، وأعلن عن تشكيل مجموعة الثماني الإسلامية التي تضم إلى جانب تركيا أكبر سبع دول إسلامية: إيران، وباكستان، واندونيسيا، ومصر، ونيجيريا، وبنغلاديش وماليزيا، وعلى المستوى الشعبي والأيدولوجي عمل أربكان على تشكيل مؤتمر عالمي للقيادات الإسلامية.

وفي عام ١٩٩٨م تم حظر حزب الرفاه، وأحيل أربكان إلى القضاء بتهمة مختلفة، منها انتهاك مواثيق علمانية الدولة، ومُنع من مزاوله النشاط السياسي لخمس سنوات، لكن أربكان لم يغادر الساحة السياسية، فلجأ إلى المخرج التركي التقليدي ليؤسس حزباً جديداً باسم الفضيلة بزعامة أحد معاونيه، وبدأ يديره من خلف الكواليس، لكن هذا الحزب تعرض للحظر أيضاً في عام ٢٠٠٠م.

ومن جديد يعود أربكان ليؤسس بعد انتهاء مدة الحظر في عام ٢٠٠٣م حزب السعادة، لكن خصومه من العلمانيين، تربصوا به ليتم اعتقاله ومحاكمته في نفس العام بتهمة اختلاس أموال من حزب الرفاه المنحل، وحكم على الرجل بسنتين سجناً، وكان يبلغ من العمر وقتها ٧٧ عاماً، وكان ينتوي الدخول في الانتخابات التي أُجريت خلال العام ٢٠١١م، ولكن المنية عاجلته، وتوفي في ٢٧ فبراير ٢٠١١م.

#### المصدر:

نجم الدين أربكان .. صانع أسس تركيا الحضارية، موقع المسلم، انظر الرابط:

<http://almoslim.net/node/142293>

نجم الدين أربكان ... من «هندسة» محركات الديزل.. إلى «هندسة» الحركة الإسلامية الحديثة في تركيا، موقع نافذة مصر، انظر الرابط:

[http://www.egyptwindow.net/web\\_Details.aspx?Kind=15&News\\_ID=399](http://www.egyptwindow.net/web_Details.aspx?Kind=15&News_ID=399)



# الإسلاميون وفقه الحضور الإعلامي.. كيف يخاطب الإسلاميون وسائل الإعلام؟



عصام زيدان

باحث في الشئون السياسية

## ملخص الدراسة

يتحتم على الإسلاميين أن يفقهوا استخدام الآلة الإعلامية على وجه يحقّق لهم أهدافهم، وأن يتواجدوا بشكل صحيح على الخريطة الإعلامية بعد سنوات من استحواذ التيارات التغريبية على هذه القنوات ذات الصلة المباشرة بالتغيير والتوجيه، وصناعة وتشكيل الرأي العام.

إن الإعلام بوسائله المتعددة يؤثر تأثيراً كبيراً في تكوين وتوجيه الرأي العام، فهو الذي يخلق الوعي لدى المجتمع بأفكار معينة، ويروّج لها من خلال ما ينقله من أخبار ومعلومات وبرامج تهدف إلى تكوين اتجاه معين.

منذ نجاح ثورات الربيع العربي، وثمة حملات إعلامية منظمة للتخويف والتحريض ضد الإسلاميين، وقد سلكت وسائل الإعلام العلمانية في الداخل والخارج مسالك متعددة لإبراز الإسلاميين وفق ما تريد أن تروّج له.

لقد أصيبت وسائل الإعلام المعادية للإسلاميين بالرعب والهلع من الصعود الملحوظ لهذا التيار بعد نشوب الثورات العربية، لاسيما مع وجود مؤشرات عديدة على نجاح هذه الثورات في إحداث تغيير حقيقي وجوهري في وجه المنطقة العربية.

إن الحركات الإسلامية تمر بمرحلة غاية في الدقة، تستلزم وضع أطر تضبط الخطاب الإعلامي، يأتي في مقدمتها: الالتزام بالتصوّر الإسلامي، وتمثّل نظرية المسؤولية الاجتماعية، ومراعاة الأولويات والمآلات وردود الأفعال، وتبني المعايير الاحترافية والمهنية.

ثمة محاذير يجدر بالعاملين في الحقل الإعلامي من الإسلاميين مراعاتها، ومن بينها الاكتفاء بردود الأفعال، وسيطرة الوعاظ والتعامل مع السياسة بمنطق الفتوى، وإغفال الموجات المتعاقبة من الكذب، والوقوع في فخاخ الإعلام المعادي.

لم تسمح مناخات القمع المتتالية بتطوير الخطاب الإعلامي الخاص بالحركات الإسلامية، وهو الأمر الذي ألقى بظلال سلبية على خطاب تلك الحركات وممارستها الإعلامية، ومن أهم هذه السلبيات: هيمنة الطابع المحلي والشخصي، غلبة السمات الحزبية، الافتقار إلى عناصر التميز والاكتفاء بالتقليد، تشتت أولويات الخطاب الإعلامي، غلبة الطابع المثالي، تجنب القضايا الاجتماعية والتنمية.

إن الإسلاميين في حاجة لصياغة استراتيجية إعلامية، في مرحلة ما بعد الثورة، تنقل صورتهم الصحيحة لكل طبقات المجتمع؛ بحسب تفاوت ثقافتهم، وباللغة التي يفهمونها.

# الإسلاميون وفقه الحضور الإعلامي.. كيف يخاطب الإسلاميون وسائل الإعلام؟



عصام زيدان

باحث في الشئون السياسية

أصبحت الآلة الإعلامية في ربيع الثورات العربية صانعة الرؤساء والدول، هادمة للإمبراطوريات والقوى، متفوقة على الآلة الحربية في تأثيرها على مجريات الأحداث، لاسيما بعد انتشار القنوات الفضائية، ومواقع التواصل الاجتماعي.

ولتعاظم أهمية هذه الآلة تحتم على الإسلاميين أن يفقهوا استخدامها على وجه يحقق لهم أهدافهم، وأن يتواجدوا بشكل صحيح على الخريطة الإعلامية بعد سنوات من استحواذ التيارات التغريبية على هذه القنوات ذات الصلة المباشرة بالتغيير والتوجيه وصناعة الرأي العام.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة لتسلط الأضواء على الإعلام ودوره في تشكيل الرأي العام، وكيف تعامل الإسلاميون مع وسائل الإعلام، وكيف يكون حضورهم فاعلاً على هذه الساحة.

## محاور الدراسة:

### وستنظم دراستنا في أربعة محاور:

- الإعلام ودوره في تشكيل الرأي العام.. وصورة الإسلاميين في المنظومة الإعلامية.
- الإسلاميون وفقه الحضور الإعلامي.. الضوابط والمحاذير.
- خريطة الإعلام الإسلامي التقليدي.. الأخطاء والخطايا.
- نحو استراتيجية شاملة لإدارة الإسلاميين ملف الإعلام في المرحلة القادمة.

## المحور الأول

الإعلام ودوره في تشكيل الرأي العام..  
وصورة الإسلاميين في المنظومة الإعلامية

وستتناول هذا المحور في فرعين اثنين:

## الفرع الأول: الإعلام ودوره في تشكيل الرأي العام:

في هذه الفقرة نعرف بالمفردات، الإعلام، الرأي العام، ثم نتناول أثر الإعلام في تشكيل الرأي العام.

### الإعلام لغة:

الإعلام هو: «تبلغ ما يُراد تبليغه بوسيلة الكلام أو ما يقوم مقامه من رموز وإشارات»<sup>(١)</sup>، والإعلام مشتق كذلك من أَعْلَمَ، يقال: «أَعْلَمَهُ إِعْلَامًا، بمعنى أخبره إخبارًا»<sup>(٢)</sup>.

### الإعلام اصطلاحًا:

التعريف العلمي للإعلام العام يضم الصادق والكاذب، وبناء عليه يمكن تعريفه بأنه: «نشر الأخبار والآراء على الجماهير»<sup>(٣)</sup>.

وهناك من يرى الإعلام قاصرًا على المعلومة الصحيحة، وعرفه بأنه «تزويد الناس بالأخبار الصادقة والمعلومات الصحيحة، والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة معينة»<sup>(٤)</sup>.

### تعريف الرأي العام:

هو «التعبير عن آراء جماعة من الأشخاص إزاء قضايا، ومسائل أو مقترحات معينة تهمهم، سواء أكانوا مؤيدين أو معارضين لها؛ بحيث يؤدي موقفهم بالضرورة إلى التأثير السلبي أو الإيجابي على

الأحداث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في لحظة معينة من التاريخ»<sup>(٥)</sup>.

### أثر وسائل الإعلام في تشكيل الرأي العام:

الإعلام بوسائله المتعددة يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تشكيل الرأي العام، فهو الذي يخلق الوعي لدى المجتمع بالأفكار، ويروج لها من خلال ما ينقله من أخبار ومعلومات وبرامج تهدف إلى تكوين اتجاه معين، ويتخذ في سبيل ذلك عدة وسائل منها:

١- كثرة ترديد رأي معين، قد لا يحظى بقاعدة شعبية، مع إغفال غيره من الآراء التي قد تكون أكثر منه شعبية في المجتمع، أو التعبير عنها بضعف، بحيث يشعر المتلقي بأنها آراء شاذة.

**الإعلام بوسائله المتعددة يؤثر تأثيرًا كبيرًا في تشكيل الرأي العام، فهو الذي يخلق الوعي لدى المجتمع بالأفكار، ويروج لها من خلال ما ينقله من أخبار ومعلومات وبرامج تهدف إلى تكوين اتجاه معين، ويتخذ في سبيل ذلك عدة وسائل**

٢- قوة التعبير عن الرأي؛

فالآراء التي يعبر عنها أصحابها بصخب وقوة عبر وسائل الإعلام، توهم الآخرين بأنها تمثل رأي الأغلبية، بينما هي في الحقيقة لا تمثل سوى مجرد رأي تيار أو أفراد نافذين، لا يحظون بتأييد شعبي.

٣- اختيار وتحديد موضوعات وقضايا معينة للنقاش، ولو كانت غير مرغوبة بالنسبة لجمهور الرأي العام، مع إهمال غيرها حتى ولو كان أكثر أهمية منها، ولا يقتصر دورها على ذلك، بل تقوم بفرض درجة معينة من الأهمية للموضوعات التي يناقشها الرأي العام<sup>(٦)</sup>.

## الفرع الثاني: صورة الإسلاميين في المنظومة

### الإعلامية:

### ونتناولها على الوجه التالي:

(٥) الرأي العام والإشاعة، عبد المنعم سامي، إفريقيا الشرق، ٢٠٠١م، ص ١٤.

(٦) هل تعبر وسائل الإعلام بصدق عن الرأي العام؟ محمد الأحمد، رابط: <http://islamtoday.net/nawafeth/artshow>

(١) أجهزة الإعلام ودورها في توجيه المجتمع، أحمد عبد العزيز المبارك، دائرة القضاء الشرعي، أبو ظبي، ١٩٧٧م، ص ٦٧.

(٢) مسئولية الإعلام الإسلامي، رشاد شحاتة أبو زيد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط/١، ١٩٩٩م، ص ٨.

(٣) العلاقات العامة والمجتمع، إبراهيم إمام، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٨١م، ص ٣١٦.

(٤) ضوابط الإعلام في الشريعة الإسلامية وأنظمة المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٩٧٩م، ص ٤.

## أ- الإسلاميون في صورة الإعلام المحلي العلماني:

في التشدد<sup>(٢)</sup>.

٥- تجيش عناصر إعلامية مشهورة بتعصبها وعداؤها للإسلاميين، وتغييب الرأي الآخر، أو استضافة شخصيات مهتزة منهجياً، أو شخصيات معروفة بأرائها الشاذة التي لا تعبّر عن الرأي الغالب في أوساط الإسلاميين.

منذ نجاح ثورات الربيع العربي، وثمة حملات إعلامية منظمّة للتخويف والتحريض ضد الإسلاميين، وقد سلكت وسائل الإعلام العلمانية في الداخل العربي والإسلامي مسالك متعددة لإبراز الإسلاميين وفق ما تريد أن تروّج له.

### ومن هذه المسالك ما يلي:

٦- طرح مجادلات سفسطائية ليس لها تأثير على أرض الواقع، مثل حق المسيحي والمرأة أن يرشحا أنفسهما في انتخابات الرئاسة، ومحاولة توريث الإسلاميين ودفعهم إلى الاعتراض لإظهار أنهم أعداء للمرأة، ولا يؤمنون بحقوق أصحاب الديانات الأخرى.

١- تأويلها وتضخيمها الشديد لتصريحات وأفعال الحركات الإسلامية المختلفة والمتعلقة بزي المرأة، أو تطبيق الشريعة، أو التعامل مع أصحاب الديانات الأخرى، في محاولة لـ«شيطنة» الإسلاميين، وإظهارهم على أنهم أساطير في الشراسة والتشدد.

### لماذا هذا التوجه؟

وسائل الإعلام الواقعة تحت سيطرة العلمانيين، دفعتها إلى تبني هذه الصورة عن الإسلاميين عدة دوافع:

٢- تجنب الموضوعية، والاعتماد على الكثير من الإشاعات، ومن ذلك التأكيد على أن الإسلاميين في مصر بشكل عام دون تفرقة أعلنوا أن التصويت في التعديلات الدستورية بنعم واجب شرعي، ولم تكلف تلك الوسائل الإعلامية نفسها عناء نشر تكذيب أغلب الحركات لهذا الأمر.

١- اصطناع القلق والظهور في صورة «القديس الليبرالي» المطارد من «أعداء الحرية»، أو على سبيل اختلاق صورة للإسلامي المتجهم القاسي باعتباره «رمزاً للديكتاتورية»، مقابل صورة الليبرالي عاشق الديمقراطية<sup>(٣)</sup>.

٣- التمييز السلبي المشوّه للحقائق، والتفريع عند تناولهم لأخبار الإسلاميين حتى لو كان الخبر إيجابياً، مثل تناول بعض الصحف لحوار جماعة الإخوان مع الأقباط، فتم نقله على أنه محاولة من الإخوان للتأثير في الأقباط، وكسب أصواتهم، بدلاً من الإشارة لإيجابية هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

٢- الرعب والهلع من الصعود المحوظ للتيار الإسلامي بعد نشوب الثورات العربية، لاسيما مع وجود مؤشرات عديدة على نجاح هذه الثورات في إحداث تغيير حقيقي وجوهري في المنطقة يصبّ في صالح الإسلاميين.

٤- الخلط بين هذه التيارات بشكل واضح، وتبني سياسات إعلامية تبني صورة ذهنية وإعلامية مختزلة ومبسطة ومشوهة لهذا التيار بكل فئاته، رغم وضوح الاختلاف البين في طريقة العمل ومنهجه بين الفصائل المختلفة.

٣- تعويض الهزيمة المتوقعة على الأرض، بمحاولة

فالإعلام تعامل مع الجميع بمنطق واحد، واختار أن يضع الجميع في صف المتشددين بدرجات مختلفة

(٢) الإسلاميون وحرب الأكاذيب، إسماعيل أحمد محمد، بتصرف واختصار، رابط:

http://www.alukah.net/Culture/0/31088/#ixzz1ZnmSYKCC  
(٣) الليبرالي «الحيوية»، جريدة المصريون، محمود سلطان، بتصرف يسير،

رابط: http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=56848

(١) الانعياز والبعيد عن الحياض عنوان الإعلام المصري رغم قيام الثورة، صفوت العالم، رابط:

http://www.amlalomah.net/new/index.php?mod=article&id=16767

٤- تصدير مخاوف غربية من انتقال المد الإسلامي بمصر إلى الغرب.

٥- التحذير من تكرار النموذج الإيراني<sup>(١)</sup>.

وسارت وسائل الإعلام الإسرائيلية على نفس نهج الإعلام الغربي، وواصلت الحملة ضد الإسلاميين؛ حيث دأبت على وصف حكم الإسلاميين بالكارثي، وشبَّهت المطالبات بتطبيق الشريعة بثورة خومينية جديدة.

#### نتائج التجربة الإعلامية المعادية للإسلاميين:

على الرغم من تلك المحاولات الإعلامية قبل وبعد الثورة لإقصاء الإسلاميين، وإبعادهم عن التأثير في مجريات الأحداث وتوجيهها؛ فإن الفشل كان قرينها، وقد ظهر ذلك في التجاوب الشعبي مع آراء كثير من الإسلاميين، رغم معارضة النخبة وألنها الإعلامية.

### المحور الثاني

#### الإسلاميون وفقه الحضور الإعلامي..

#### الضوابط والمحاذير

في هذا المحور نتناول فقه الحضور الإعلامي للإسلاميين من خلال فرعين اثنين:

#### الفرع الأول: ضوابط الخطاب الإعلامي

##### للإسلاميين:

الحركات الإسلامية تمر بمرحلة غاية في الدقة، تستلزم وضع أطر تضبط خطابها، ومن هذه الضوابط:

(١) «فزاعة» حكم الإسلاميين لمصر تعود إلى الإعلام الغربي، علياء عبد الفتاح، رابط:

<http://www.onislam.net/arabic/newsanalysis/special-folders-pages/new-egypt/egypt-after-the-january-25/131736-egypt-after-the-january-25.html>

تحقيق انتصار متوهم في الفضائيات، فإعلامهم يشوّه صورة الإسلاميين؛ لأنهم يمثلون العقبة أمام مشاريع علمنة الدولة.

٣- محاربة الدين في أشخاص متبعيه، وإيجاد قطيعة بين الإسلاميين وبين عامة الشعب، وحمل بعض الإسلاميين أثناء نفيهم للتهم عنهم إلى الموافقة على الباطل الذي يريدونه وإقراره.

٤- وضع الإسلاميين دائماً في قفص الاتهام؛ بحيث لا يستطيعون أن يدافعوا عن أنفسهم، وتجاوز مناقشة الأفكار التي يحملها هؤلاء العلماء، ومدى ملاءمتها لقيم المجتمع.

#### ب- الإسلاميون في الصورة الغربية:

مع إطلالة الربيع العربي، بدأت وسائل الإعلام الغربية، بتسليط الضوء على الإسلاميين خاصة في الدول التي حسمت فيها الشعوب أمرها بدون أي تدخل خارجي، وخلعت حكماها، كما في تونس ومصر، فبدأت بتخويف الشعوب من خطر وصول الإسلاميين للحكم من خلال صناديق الانتخاب؛ مستخدمة كافة الوسائل لتحقيق ذلك الهدف.

أما في ليبيا فقد بدأت حملة مبكرة مدعومة من الغرب بالترويج للتيار الليبرالي ضد الإسلاميين؛ بحجة ارتباط بعض قياداتهم بالجماعات المسلحة.

وانطلق الإعلام الغربي في حملته التي شتتها على الحكم الإسلامي من عدة جوانب:

١- تصوير مجرى الأحداث على أن تطبيق الشريعة في تلك البلاد صار أمراً وشيكاً وحتماً، وإظهارها على أنها الأكثر دموية وعنفاً وتقييداً للحريات.

٢- إظهار الإسلاميين بوجه عام على أنهم متطرفون ينتهجون العنف لتطبيق مبادئهم.

٣- تأجيج التخوف القبطي من حكم الإسلاميين، وتصعيد نبرة التوترات الطائفية.

## ١- الالتزام بالتصوُّر الإسلامي:

وهذا يستلزم:

أ- الاعتماد على الأسلوب الموضوعي، القائم على التحليل والتأمُّل، واتخاذ كافة الوسائل التي تنمِّي ملكة التفكير لدى الإنسان، الذي يجب أن تتوجه إليه بالإقناع، لا أن تجرّه جرًّا بواسطة الغرائز، والعواطف، والانفعالات<sup>(٤)</sup>.

إعلام الإسلاميين لا بد أن يلتزم في محتواه ووسائله، وفي كل ما ينشره أو يذيعه، أو يعرضه على الناس بالتصوُّر الإسلامي للإنسان والكون، والحياة المستمدة أساسًا من القرآن الكريم وصحيح السنَّة، وما ارتضته الأمة من مصادر التشريع<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني:

ب- تزويد الجماهير المسلمة وغيرها بحقائق الإسلام، والقضاء على المعتقدات الخاطئة والمفاهيم المغلوطة التي تسود أغلب دول العالم عن الإسلام والمسلمين.

أ- عدم مخالفة الثوابت العقدية والدينية.

ب- تجنب الاجتهاد في المعلوم من الدين بالضرورة،

وما أجمع عليه الثقات، واتفق عليه جمهور المسلمين.

## ٣- التوجه إلى خطاب الناس:

ونعني استخدام لغة تُخاطب الجميع، فلا بد أن يستقر في وعي الإسلاميين أن رسالتهم موجَّهة إلى كل الناس، وأنه من الصُّروري المشاركة بحضارتنا من جديد في صنع التاريخ، وترشيد سيرته.

مع إطلالة الربيع العربي، بدأت وسائل الإعلام الغربية، بتسليط الضوء على الإسلاميين خاصة في الدول التي حسمت فيها الشعوب أمرها بدون أي تدخل خارجي، وخلعت حكامها، كما في تونس ومصر، فبدأت بتخويف الشعوب من خطر وصول الإسلاميين للحكم من خلال صناديق الانتخاب؛ مستخدمة كافة الوسائل لتحقيق ذلك الهدف.

ج- أن يتميَّز بواقعيته وصدقته، واستقلاليتها، كونه ذاتي الانطلاق، يرفض أشكال التبعية.

د- البعد عمَّا يضعف الأمة ويفت في عضدها، فالإعلام الإسلامي يقوِّي قلوب الأمة، ويثبت جأشها، ويصلها برَّبها، ويرغبها في إسلامها<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما يفرض على الإسلاميين الالتزام في خطابهم بما يلي:

## ٢- يستهدف بناء الإنسان:

أ- الاهتمام بالشأن العام، والخروج من الذات الإقليمية للتواصل مع الآخرين، مع الحفاظ على الهوية الإسلامية.

لأن الإنسان هو الهدف والغاية، وأي استثمار يغفل الإنسان ويتجاهل عقله، هو استثمار لا قيمة له ولا جدوى من ورائه؛ لأن هؤلاء البشر هم المكوّن الأساس في بناء الأمم<sup>(٣)</sup>.

ب- تجنّب المبالغة في الحديث بعاطفة فقط؛ حيث يفترض عند مخاطبة جمهور الناس أن نوصل معلومة مقنعة تحترم عقول الناس.

(١) وظائف الإعلام الإسلامي، محمد محمد يونس، ورقة مقدمة إلى ندوة «الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي»، القاهرة، نوفمبر ١٩٩٨م، ص ٢٨-٢٩.

(٢) الإعلام الإسلامي، دراسة في المفاهيم والأصول والخصائص، د. محمد موسى البر - مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - العدد العاشر - ١٤٢٦ هـ، ٢٠٠٥ م - ص ٣٠٩.

(٣) إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، بتصرف مختصر، للأستاذ الدكتور محيي الدين عبد الحلیم، كتاب الأمة، العدد ٦٤، ربيع الأول ١٤١٩ هـ - يوليو ١٩٩٨ م، ص ١٩٢.

ج- إعطاء الثقل لنقل الخبر وتحليله مع الاهتمام بالسياسة الخارجية والعالمية.

(٤) نظريات الإعلام الإسلامي، منير حجاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٣٩.



#### ٤- مراعاة الأولويات:

صفات، منها<sup>(١)</sup>:

أ- **السلبية**: إذ يظل الإعلام الإسلامي معتمداً في وجوده على ما يصدر من الآخر حتى يتحرك، ولا يستطيع القيام بالحركة الأولى.

ب- **الاتكالية**: إذ قد يصبح الترهل عبر الأزمان، وعدم القدرة على الخلق والإبداع هو ما يميز ذلك الإعلام؛ إذ يحتاج إلى المحفز الوقائي حتى يستطيع العمل، وبذا يصبح دفاعياً في وجوده وغايته.

ج- **فقدان الترسيح**: حيث يظل الهمّ الشاغل لهذا الإعلام هو الدفاع، لا التبشير، أو الترسيح.

د- **فقدان الجرأة الأدبية**: حيث يصبح انتظاريًا، لا يستطيع في أي حال من الأحوال اختراق الآخر مكتفياً بما يصدر عن الآخر؛ حتى يستطيع إيجاد الهوية الخاصة به.

و- **التبعية**: وبذا يصبح غير فعّال؛ لأنه أصبح إعلاماً مهجناً، يعتمد في تحريك أدواته وخطابه على الإبداع الأول.

٢- **سيطرة الوعاظ والتعامل مع السياسة بمنطق الفتوى**:

من أكبر المحاذير التي يجب على الإسلاميين تجنبها فيما يخص قضية الخطاب الإعلامي هي سيطرة الوعاظ، وقلة عدد المفكرين والمثقفين فيه.

فالقضايا السياسية، الترويج فيها قائم على أساس المصلحة، وهذه المصلحة يحددها أهل الاختصاص، وأهل الاختصاص في مجال السياسة هم السياسيون<sup>(٢)</sup>.

(١) مقاربات في الإعلام الإسلامي، إبراهيم الزيايدي، رابط:

<http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=193938>

(٢) الأخطاء الثمانية للسلفيين في مصر، مصطفى عياط، رابط:

[http://islamyun.net/index.php?option=com\\_k2&view=item&id=881:%C7%E1%C3%CE%D8%C7%CE%CB%E3%CE%ED%9-%E1%E1%D3%E1%DD%ED%ED%4-%DD%ED-%E3%D5%D1&Itemid=157](http://islamyun.net/index.php?option=com_k2&view=item&id=881:%C7%E1%C3%CE%D8%C7%CE%CB%E3%CE%ED%9-%E1%E1%D3%E1%DD%ED%ED%4-%DD%ED-%E3%D5%D1&Itemid=157)

أن يكون فقه الأولويات عنصرًا رئيسًا في التوجهات والقرارات، واختيار البدائل؛ فلا يتم الاشتغال بالفروع عن الأصول، ولا يتم الإصرار على أمر تغلب مضارّه على فوائده، حتى لو كان في أصله صحيحًا.

فبعض الإسلاميين ما زالوا يغردون خارج السرب، ويتحدثون في قضايا تاريخية، ويتجاهلون قضايا الساعة، وكان الأجدى تقديم أنفسهم عبر ملفات أقل التباسًا وأكثر توافقية مع المجتمع.

#### ٥- مراعاة المآلات وردود الأفعال:

خصوصًا أن وسائل الإعلام المعادية غالبية، وهي تبحث عن المثالب وتلحقها بالإسلاميين، سواء وجدت أم لم تُوجد، والغالب عليها اتهام الإسلاميين بالتعسير والتضييق على الناس، والافتقار إلى المرونة في التعايش مع المخالفين، فلا يجب أن نساعد هذه الوسائل بما يروّج دعاياتها المغرضة.

#### ٦- تبني المعايير الاحترافية والمهنية:

ونقصد بها التعامل مع مفردات العمل السياسي، وما يتصل به من الإعلام المسييس بشكل احترافي وورصين، مع ضرورة حسن اختيار من يتحدث باسم الجماعات والأحزاب الإسلامية، بما يحقق الفصل بين تصورات بعض الأشخاص، وبين المواقف التوافقية المراد الإعلام عنها.

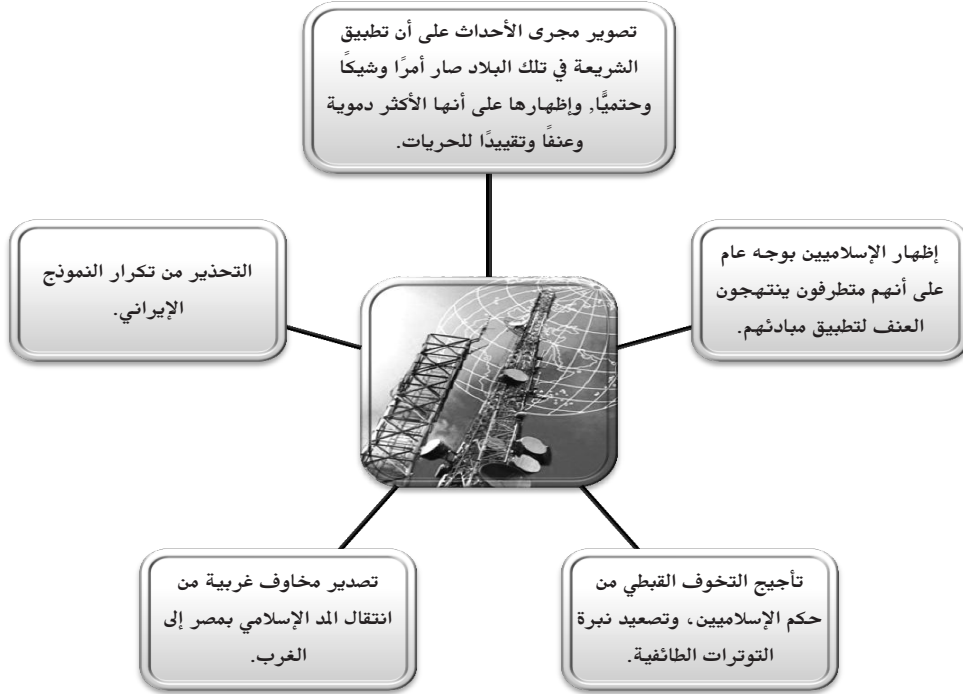
#### الفرع الثاني: محاذير الخطاب الإعلامي للإسلاميين:

هناك عدة محاذير يجدر بالعاملين في الحقل الإعلامي من الإسلاميين مراعاتها، وهي:

#### ١- الاكتفاء بردود الأفعال:

وهذا الأمر قد يجعل إعلام الإسلاميين يتصف

## أبرز جوانب حملة الإعلام الغربي ضد الحكم الإسلامي



السياسي، وأن يكسبوا ثقة الشارع بتفنيده تلك الموجات المتعاقبة من الكذب<sup>(١)</sup>.

### ٤- المبالغة في الحديث عن الانتصارات واستفزاز الطرف الآخر:

فمفهوم المعركة يعني وجود طرف منتصر يفرض شروطه على الطرف المهزوم، وبالتالي أصبح أمام ديمقراطية من ناحية واحدة، كما يحاول البعض إلصاق ذلك بالإسلاميين.

ويرتبط بذلك ضرورة تجنب المصطلحات التي يمكن أن تستفز الأطراف الأخرى، وتغليب مصطلحات تعمل على لئم الشمل، وتجنّب الوقوع في براثن الخطاب المثير للمخاوف والهلع؛ حيث يفترض في خطاب الإسلاميين التحدث بصيغة تطمئن الجميع، وعليهم أن يقنعوا شعوبهم أولاً، ثم العالم الغربي أن الإسلام

(١) الإسلاميون وحرب الأكاذيب، إسماعيل أحمد محمد، مرجع سابق.

### ٢- إغفال الموجات المتعاقبة من الكذب:

فقد يغفل بعض الإسلاميين الموجات المتعاقبة من الكذب، التي مع كثرة تردادها يخشى من افتتاع الجمهور بها، كما أن هناك العديد من الدراسات التي تتحدث عن وجود مناطق رمادية، أو أسئلة غير مجاب عنها في خطاب الحركات الإسلامية تتعلق بمدى قدرتهم على قبول النقد، وموقفهم من حقوق الأقليات والمرأة، ومدى التزامهم بالديمقراطية وبسلمية الممارسة السياسية، وقبول التعددية، والقدرة على بناء توافق مجتمعي، والعلاقة بين المكون الدعوي والمكون السياسي في نشاطهم.

وعليه يتوجب على الحركات الإسلامية السعي إلى إجلاء الغموض، والإجابة على التساؤلات غير المجاب عنها، بما يضمن ليس فقط إزالة الالتباس والغموض، ولكن أيضاً الاستجابة لتطلعات الجمهور، وإزالة لمخاوفهم المرتبطة بحقيقة نوايا تيار الإسلام

وفي محاولة للوقوف على أداء الإسلاميين في الإعلام، نرصد الأخطاء والخطايا التي وقعت فيها تلك الحركات، مقسمة على الخريطة التقليدية للإسلاميين، على الوجه التالي:

#### ١- هيمنة الطابع المحلي والشخصي:

غالب وسائل الإعلام المحسوبة على الإسلاميين لم تستطع أن تتخلص من الطابع المحلي للبلد الذي تبث منه، خصوصاً الاهتمام بالأحداث والفعاليات القطريّة، على حساب قضايا الأمة والأحداث العالمية.. كما تسود هيمنة الطابع الشخصي لمالكها، أو القائمين عليها، فتؤثر على السمة العامة لبرامجها، وعلى مستواها المهني.

في حين أن عالمية رسالة الإسلام تقتضي أن تعرض وسائل الإعلام لعلاج القضايا ذات الطبيعة العالمية، والتي تؤثر في البشرية كلها مثل قضايا العولمة، صراع الحضارات؛ لتثبت دائماً للعالم أن تلك الحركات جزء من مليارات البشر الذين يعيشون في هذا العالم، وأن من حقها أن تتبادل وجهات النظر، وأن تقدم للعالم خير ما لديها في المشكلات المتباينة من منظور إسلامي<sup>(٤)</sup>.

#### ٢- غلبة السمات الحزبية:

ونقصد بذلك تخليق خلاقات من الفراغ لا تصبّ أبداً في الصالح العام؛ حيث تقع غالب الحركات الإسلامية في فخّ إنتاج صراعات جديدة، وتقل خلافتها على الهواء بعد أن كان سجين الكتب والمقالات؛ حيث يسعى كل تيار إلى إثبات أنه الخطاب الوحيد المعبر عن الإسلام<sup>(٥)</sup>.

فمجال العمل الإعلامي الإسلامي، لم يصل بعد إلى

غير مخيف، كما تصوره الدوائر الغربية، بل هو أكبر ضمانة لحقوق الإنسان والأقليات.

#### ٥- الوقوع في فخاخ الإعلام المعادي:

وما يجب التحرُّز منه هو التصريح للإعلام أو في المؤتمرات بما يُسهل على الإعلام المعادي التشهير بالإسلاميين، فهم خبراء في قلب الحقائق، واجتزاء النص، وتسريب الكذبة من خلال سؤال يبدو بريئاً؛ لأن كل قضية الآن يمكن تسييسها، أو وضعها في إطار سياسي معين، يحاول بها البعض الإساءة إلى الإسلاميين، والبراءة الشديدة تدفع رموز هذه الحركات إلى المبادرة بالإجابة العنوية على أي سؤال أو استفزاز فكري بشكل مباشر وصارم، رغم أنهم غير ملزمين بذلك، ولا يوجد من يضطر للإجابة على أي سؤال<sup>(١)</sup>.

### المحور الثالث

#### خريطة الإعلام الإسلامي التقليدي.. الأخطاء والخطايا

شهدت الفترات ما بعد الثورة تنامي حضور الحركات الإسلامية على شاشات الفضائيات في العالمين العربي والإسلامي، وقد ارتبط هذا التنامي بالدور المتصاعد للحركات الإسلامية، وما تحقّقه من تقدم في عديد من الاستحقاقات السياسية، وما يرتبط بذلك من جدل على أكثر من صعيد، وفي أكثر من دائرة<sup>(٢)</sup>.

وتبقى المشكلة أن مناخات القمع المتتالية لم تسمح من قبل بتطور الخطاب الإعلامي الخاص بالحركات الإسلامية، فلم تتم دراسته في ورش داخلية، وبطرق عملية في إطار عام من الحرية، وهو الأمر الذي ألقى بظلال سلبية على خطاب تلك الحركات وممارستها الإعلامية<sup>(٣)</sup>.

(١) مصيدة التيار السلفي، جمال سلطان، رابط:

<http://www.almesryoon.com/news.aspx?id=77678>

(٢) دراسة تقييم أداء الإسلاميين في الفضائيات العربية، علي بن حاجب، رابط:

<http://aafaqcenter.com/post/151>

(٣) الخطاب الإعلامي للإسلاميين يحتاج المراجعات، رابط: =

<http://www.rpccst.com/news.php?action=show&id=3266>

(٤) البرامج الدينية في القنوات الفضائية العربية: دراسة تحليلية، مصطفى سليمان، رابط:

<http://www.siironline.org/alabwab/solta4%2817%29/158.htm>

(٥) الخطاب الإعلامي للإسلاميين يحتاج المراجعات، مرجع سابق

وعند التتبع سنجد أن أغلب المشاريع الإعلامية الإسلامية من صحف ومجلات وإنترنت إلى إذاعات وقنوات فضائية لم تقدم مادة جديدة ومقنعة، وإنما عملت على إعادة إنتاج خطابها القديم بحلة جديدة وبتقنيات حديثة.

#### ٤- تشتت أولويات الخطاب الإعلامي:

فمن الواضح تضارب أجندة الحركات الإسلامية، وعدم حسنها، واستمرار التجاذب الحاصل بين أولوية الديني العقدي والسياسي الاجتماعي، ورغم ذلك فإن محاولة إيجاد معالجة جادة لهذا التجاذب، أو السعي للخروج بصيغ متوازنة لإزالة هذا التزاحم لا تزال محدودة للغاية.

ويعود السبب في ذلك إلى إهمال الشأن الفكري والسياسي الاجتماعي داخل أغلب الجماعات الإسلامية،

وتقديم الجوانب الأخرى عليه.

#### ٥- سطحية وضبابية الرؤية:

اتسم أداء غالب الحركات الإسلامية الإعلامية بضبابية المواقف، وتشتت الآراء؛ فمرة هي أقرب إلى الاعتدال والوسطية، ومرة أقرب إلى التشنج والعصبية، ومرة خطابها متلبس بالوطنية، وأخرى غارق في المذهبية؛ حيث إن المستهدف في خطابها الإعلامي غير محدد المعالم، والهدف من مشروعها الإعلامي غير واضح الركائز، ولا يتكئ على رؤية علمية، والنتيجة أن عدداً كبيراً من هذه المشاريع تعاني فعلاً من غياب المادة الصالحة للعرض، والتي ينبغي أن تصب في خانة تنمية الإنسان أولاً وأخيراً<sup>(١)</sup>.

فالمشاهد أن الوسائل الإعلامية في يد الإسلاميين

(٢) المرجع السابق

التغلب على التعصب الحزبي، أو السمات الحزبية، فالضيف غالباً -إلا في بعض الحالات أو النماذج- يكون واجهة لحزبه أو تياره، مظهرًا لغيره من التيارات أو الحركات بصورة التطرف، محاولاً ترويج رسالته على حساب تلك التيارات الأخرى<sup>(١)</sup>.

#### ٢- الافتقار إلى عناصر التميز والاكتفاء بالتقليد:

غالب الحركات الإسلامية في سعي دءوب لاستخدام الأدوات الحديثة، وتتسابق فيما بينها على اقتناء أكثر الأجهزة والوسائل جدة، وهذا السعي الدءوب للوجود الإعلامي لم ترافقه مساع لإنتاج خطاب إعلامي حديث و متميز، بل كان التكرار والتقليد هي السمة العامة للمادة الإعلامية المطروحة، وربما يعود ذلك إلى قناعة باتت راسخة عند الكثير من الإسلاميين اليوم بمن فيهم أو على رأسهم المنادون بضرورة

التجديد، بأن التجديد والمعاصرة يأتيان من خلال تحديث الأطر والأدوات والمظاهر المستخدمة، وأن الفرق بين الجديد والقديم، وبين الحداثة والتقليد هو أن الأولى تقبل تجديد الأدوات والآلات والمظاهر، بينما الثانية ترفضها وتتهيب منها.

فالجماعة التي تضع لها مواقع على الإنترنت، وتبث أفكارها عبر الفضاء الحر تعتبر تجديدية، بينما الجماعة التي تصر على بث الأشرطة، أو لا تزال تعتمد على المنشورات الورقية لبث أفكارها، والتعبير عن متبنياتها هي متخلفة وتقليدية، بغض النظر عن عمق أو ضآلة المادة الإعلامية المطروحة، والثقافة المراد إيصالها إلى الرأي العام<sup>(٢)</sup>.

(١) دراسة تقييم أداء الإسلاميين في الفضائيات العربية، علي بن حاجب، مرجع سابق.

(٢) الإعلام الإسلامي... والخطاب الجديد، أحمد شهاب، مختصراً، رابط: <http://www.annabaa.org/nbanews/66/008.htm>

تُصَرِّح على طرح القضايا دون عمق، وتعالج القضايا الاجتماعية والسياسية بنظريات قديمة، وهو أمر مثير للاهتمام إذا قارنا هذا الأداء بمستوى الحضور الإسلامي في الشارع الذي يفرض عليها صياغة خطاب إعلامي جديد يتسم بالوضوح، والتركيز على القضايا الجوهرية.

#### ٦- الافتقار إلى الأدوات المكتملة:

فالتيارات التي يغلب عليها العمل السياسي، تكون غالباً مفتقرة إلى التأصيل الشرعي الجيد، والتيارات التي يغلب عليها التوجه العلمي الشرعي، يغلب عليها الضعف في المجالات السياسية، أو العسكرية أو الاقتصادية، والتيارات التي يغلب عليها التوجه الدعوي تفتقر أيضاً إلى التأصيل الشرعي والبعد السياسي<sup>(١)</sup>.

وليس هناك من تنسيق أو تعاون أو تكامل في الأدوار بين هذه الحركات وبعضها، وهو الأمر الذي أظهر تبايناً واضطراباً كبيراً في الإعلام المحسوب على الإسلاميين، يؤثر في قدرته على الوصول للجمهور بصورة صحيحة تحقق الأهداف المرجوة.

#### ٧- غلبة الطابع المثالي:

تعاظم الفرق بين الواقع المقدم في خطاب بعض الحركات الإسلامية، والواقع الذي يعيشه المشاهد، مما ينشأ عنه في الغالب إما العزلة والانكفاء، أو العنف في بعض الحالات، أو صعوبة التعامل مع الواقع؛ لصعوبة إصلاحه، فالعقل الباطن قد اختزل صوراً مثالية تشكّلت ببرامج السيرة... التي تعرض

(١) دراسة تقييم أداء الإسلاميين في الفضائيات العربية، علي بن حاجب، مرجع سابق.

سير السلف وشجاعتهم بغير الطبيعة البشرية التي تخطئ وتصيب، ومن ثم يصعب على الجمهور التطبع مع بشرية الذين في واقعهم<sup>(٢)</sup>، أو تمثل تلك النماذج، وهو ما يعني غياب عشرات الساعات من البث دون فائدة حقيقية.

#### ٨- تجنب القضايا الاجتماعية والتنمية:

يعد اقتراب التجاهل هو السمة الغالبة لخطاب التيار السلفي، على وجه الخصوص، فوسائل إعلامها تكاد تخلو من الإشارة إلى المجال الاقتصادي والمشكلات الاقتصادية، فالاهتمام منصب على علم العقيدة، والحديث والعبادات، دون الخوض في القضايا

وسائل إعلام التيار السلفي تكاد تخلو من الإشارة إلى المجال الاقتصادي والمشكلات الاقتصادية، فالاهتمام منصب على علم العقيدة، والحديث والعبادات، دون الخوض في القضايا الاقتصادية، على اعتبار أن إصلاح عقيدة الفرد المسلم على رأس الأولويات، ثم يأتي في المرتبة الثانية التزام الشعائر الدينية والهدي النبوي الظاهر، أما أحوال الأمة ومشكلاتها الاقتصادية فستحل تلقائياً بمجرد إصلاح العقيدة والعبادة.

الاقتصادية، على اعتبار أن إصلاح عقيدة الفرد المسلم على رأس الأولويات، ثم يأتي في المرتبة الثانية التزام الشعائر الدينية والهدي النبوي الظاهر، أما أحوال الأمة ومشكلاتها الاقتصادية فستحل تلقائياً بمجرد إصلاح العقيدة والعبادة.

أما اقتراب الزهد وهو ما يسميه البعض بالاقتراب العلماني من حيث كونه يفصل بين الدين والسياسة والاقتصاد، فنلاحظه في خطاب بعض علماء السلفية المعاصرة الذين يقصرون اهتمامهم على تذكير الفرد بأهمية الزهد، وما كان عليه السلف الصالح من زهد في الدنيا واستغناء عنها، فتتعدد الأشرطة والمحاضرات التي تتناول نعمة الفقر وفضله، وكيف

(٢) لماذا قاطع الإعلام الإسلامي مقاصد الشريعة؟ دراسة مقاصدية موجزة عن الإعلام الفضائي الإسلامي ٢/١، د. محمد بن عبدالله العبدالكريم، رابط:

<http://www.alasr.ws/index.cfm?method=home.con&contentID=10782>



## المحور الرابع

### استراتيجية شاملة لإدارة الإسلاميين ملف الإعلام في المرحلة القادمة

إن صياغة استراتيجية إعلامية للإسلاميين يعتبر ضرورة ملحة، في مرحلة ما بعد الثورة؛ حيث الحاجة ماسة لخطاب إسلامي جديد، يُقدّم من خلاله فكر ومنهج هذه الحركات على حقيقته، ومن هنا كانت هذه المحاولة لصياغة استراتيجية شاملة لإدارة الإسلاميين لملف الإعلام في المرحلة القادمة، والتي تنطلق من عدة ركائز، من أهمها ما يلي:

١- إن المعركة الحقيقية والفاصلة اليوم هي معركة الإعلام، والذي أصبح يوظف لأغراض سياسية وأيديولوجية، ولتشكيل وعي الجمهور.

٢- الحاجة الملحة للإسلاميين لملاحقة التطورات الإعلامية السريعة، خاصة مع التفوق الكبير للإعلام الغربي، والإعلام المحلي الذي يقف معادياً.

٣- ضرورة تكامل الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي، فالاستراتيجية التي نبتغيها واضحة المعالم، مفضّلة الجوانب، تقوم على الشمول والتكامل والواقعية، يتلاحم فيها القول مع العمل.

٤- أن يدعم الخطاب الإعلامي الأصالة والذاتية النابعة من قيم الإسلام ومبادئه، ويوفر الجو الملائم لصنع البدائل التي تقف في مواجهة ما يقدمه الغرب.

وتسعى هذه الاستراتيجية لكي يحقق إعلام الإسلاميين عدة أهداف، من أهمها:

١- القيام بعملية التغيير الحقيقي، وتغيير الأفكار والسلوكيات والأخلاق على المستوى العام والخاص.

٢- المساهمة في صناعة الرأي العام، والانتقال بالجمهور إلى وعي أكبر وحضور مؤثر.

٣- نقل صورتهم لكل طبقات المجتمع بحسب

كان الرسول وصحابته يعيشون في فقر مدقع، ولكنهم مع هذا فتحوا الدنيا ونشروا الإسلام، وأحاديث تتناول ذم الترف والوعيد للأغنياء.

ولا يخفى على أحد ما لهذا الاقتراب من تداعيات خطيرة تلقي الوهن في نفوس عامة المسلمين، فلا حاجة للتنمية، ولا لإيجاد سبل لحل المشكلات الاقتصادية المعاصرة؛ لأن الدنيا زائلة، والآخرة خير وأبقى، والفقير أفضل عند الله من الغني<sup>(١)</sup>.

#### ٩- السقوط في فخاخ الإعلام:

فمع أن الإسلاميين يدركون أن القطاع الأكبر من الإعلام لا يتعاطف معهم، بل ويتصيد لهم الأخطاء، إلا أنهم وقعوا في العديد من الأفخاخ التي نصبت لهم، فكثيراً ما وقع الإسلاميون ضحايا لإعلاميين نصبوا لهم أسئلة مفخخة الهدف منها الحصول على إجابات نمطية تصبّ في الأخير في خانة التخويف والترهيب من الإسلاميين.

#### ١٠- الاشتباك مع المهاترات والانجرار لمعارك وهمية:

ويرتبط بما سبق الانجرار لمعارك وهمية، فالحديث عن تغيير المادة الثانية من الدستور، لم يكن سوى معركة مفتعلة، خاضها الإسلاميون بكامل ثقلهم، رغم أنه لم يكن هناك أي طرح جدي للاقتراب من المادة، تعديلاً أو إلغاءً، كما روج البعض.

ورغم أن التعديلات الدستورية التي طُرحت للاستفتاء لم تتضمن أي إشارة لهذه المادة، إلا أن البعض واصل المعركة، واعتبر الاستفتاء معركة على هوية مصر، ووظفت مئات المنابر من أجل الدعوة لتأييد التعديلات، وصدرت فتاوى توجب هذا التأييد<sup>(٢)</sup>.

(١) أين الخطاب السلفي المعاصر من قضايا التنمية؟ أمل خيري، رابط:

www.islamonline.net/cs/ContentServer/...C/.../IOLStudies\_C

(٢) تدوين الفكر الإعلامي في العالم، عايد الشعراوي، دار النهضة الإسلامية، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٤١.



ب- الإعداد اللغوي والتذوقي؛ بدراسة مقررات في اللغة العربية، وأن يسعى إلى التمكن في فنون القول، والبيان، والأسلوب، والتعبير، والتذوق الأدبي.

ج- الإعداد التخصصي والمهني، وهذا الإعداد لا بد أن يتكامل فيه الجانب النظري والجانب العملي التطبيقي حتى لا تصبح دراسة الإعلام دراسةً نظريةً بحتةً، ولا بد من اكتساب الإعلامي للمهارات العملية والمهنية المطلوبة منه في واقع الممارسة الميدانية.

د- الإعداد الثقافي العام، وهذا يتطلب الإلمام بالواقع الذي يعيش فيه، من حيث قضايا ومشكلاته، وأحداثه، وتياراته، كما يتطلب الإلمام ببعض المعارف والعلوم المعينة له على فهم هذا الواقع وتحليله، وهي علوم وثيقة الصلة بالإعلام؛ كعلم النفس والاجتماع، والعلوم السياسية والاقتصادية، واللغة الأجنبية<sup>(٣)</sup>.

#### ثانياً: مضمون الخطاب ومرتكزاته:

خطاب الحركات الإسلامية، وفق استراتيجيتنا المقترحة يركز على عدة جوانب، منها:

١- أن يكون الخطاب الإعلامي تسامحياً مجمّعاً لا تصادمياً منفراً.

٢- أن يكون مزيلاً للشبهات؛ سواء منها التي تتعرض للإسلام كمنهج، أو تلك الشبهات التي تساهم في تشويه صورة الإسلاميين.

٣- التركيز على التوعية العامة للناس بكثير من المفاهيم المختلطة، كمفهوم الدولة الإسلامية، وكيف أنها تختلف تماماً عن الدولة الثيوقراطية، ومفهوم الجهاد الإسلامي، وبيان دوافعه في الإسلام.

٤- أن يكون الخطاب مطمئناً، كشرح موقف الإسلام من النصارى، وبيان حرية الاعتقاد في الإسلام، وأنه لا إكراه في الدين، وأن أكثر مخاوفهم إنما تنتج من سوء فهم للإسلام، أو من سوء عرض لمفاهيم الإسلام<sup>(٤)</sup>.

(٣) ما هو الإعلام الإسلامي، عبد القادر طاش، مرجع سابق.

(٤) الخوف من الإسلاميين: أسبابه وطرق معالجته، عبد التواب محمد عثمان، رابط: <http://islamselect.net/mat/89706>

تفاوت ثقافتهم، واللغة التي يفهمونها، وهذا يحجم تماماً افتراءات الإعلام المعادي.

وتتركز الاستراتيجية حول أربعة ميادين رئيسة هي:

#### أولاً: المرسل:

الإنسان هو العنصر الأول في إحداث أيّ تغيير مقصود، والعناية بإعداد الإعلاميين الإسلاميين، وتأهيلهم حتى يكونوا قادرين على تحمل هذه المسؤولية الضخمة، عمل كبير، يتطلب جهوداً عظيمة وطاقات عديدة<sup>(١)</sup>.

واختيار العناصر القادرة على تبليغ الرسالة هو في الحقيقة البداية الصحيحة والركيزة الأساس لنجاح هذا العمل<sup>(٢)</sup>.

#### ولا بد من عدة اعتبارات في هذا المجال:

١ - أن يتم إعداد الكوادر بصفة مستمرة.

٢- أن تتوافر فيهم الموهبة، والاستعداد النفسي، والقدرة على فهم احتياجات المرحلة، والجرأة على خوض غمار التطوير المستمر للمواد المطروحة، وطرق بثها، والتوقيت الملائم لذلك.

٣- اعتماد مسألة التخصص، وهو ما يعني أن تكون الكوادر الإعلامية من أصحاب الاختصاص في الإعلام وعلوم الاجتماع والعلوم السياسية.

٤- إن إعداد الإعلامي الإسلامي وتأهيله لا بد أن يكون وفق المنهج العلمي والعملي، ويشمل:

أ- الإعداد الأصولي والفكري؛ حيث يتعرف على الأصول العقديّة والفكرية والتشريعية للإسلام؛ من خلال مجموعة مختارة من المقررات الشرعية والفكرية.

(١) ما هو الإعلام الإسلامي، عبد القادر طاش، مجلة الداعي الصادرة عن دار العلوم ديوبند، ذو القعدة ١٤٣٠ هـ = نوفمبر ٢٠٠٩ م، العدد: ١١، السنة ٣٣.

(٢) إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، مرجع سابق.

قطاعات المجتمع الذي نعمل فيه .

**النسق الثالث:** العالم الخارجي الذي يرصد بدقة الخطاب الإعلامي للحركات الإسلامية؛ ليحدد موقفه منها، ويضع خطته للتعامل معها، خاصة في حال مشاركتها المنتظرة بقوة في البرلمان التي تلعب دوراً خطيراً في البلاد الديمقراطية، أو حتى مشاركتها في الحكومات المرتقبة بعد حين، وهنا لا بد للخطاب الإعلامي أن يتبنى رؤية إسلامية عالمية موجّهة إلى العالم الحذر والقلق والمترقب<sup>(١)</sup>.

**من الضروري أن يتوجه الخطاب الإعلامي الإسلامي إلى العمل على كسب قطاع لا بأس به من نشطاء النخب العلمانيّة؛ فإما أن يصيروا في خندق المدافعين عن الحركة الإسلاميّة وأطروحاتها، أو على الأقل يقفون على الحياد، ويكفون عن صبّ أذاهم على الحركة الإسلاميّة وأطروحاتها؛ وذلك يحقق مزيداً من التأثير الإعلامي والسياسي الإسلامي**

٥- التركيز على القضايا ذات البعد الجماهيري التي تحظى باهتمام شعبي قوي، وأن يبتعد الخطاب عن القضايا التي تظهر للناس بالمظهر الفئوي.

٦- أن يكون شاملاً لكافة مناحي الحياة ومجالاتها،

وأن يكون قادراً على ترسيخ قيمة الشمول، وأنه جاء لسعادة الفرد في كافة مناحي الحياة.

٧- أن يكون عالمياً بمتطلبات العصر وتطبيقات المرحلة، ويتبنّى هموم الأمة، ويشعر رجل الشارع بأن من يتحدث يملك حلاً إسلامياً عملياً لا مجرد نظريات.<sup>(١)</sup>

#### رابعاً: آليات تطبيق الاستراتيجية:

وتتضمن آليات تطبيق الاستراتيجية العناصر التالية:

١- إعداد الدراسات الميدانية والبحوث المتخصصة لأهم احتياجات المجتمع المعني بالبحث الإعلامي، وهذا ما يمكن من إعداد الخطط العلمية التي تتوافق مع ظروف الجماهير المتلقية، وتتناسب مع واقعهم الثقافي والاقتصادي والاجتماعي، وتلبي احتياجاتهم، وتتناول مشكلاتهم، وبدون دراسة علمية دقيقة لاتجاهات الجماهير، فإن هذه الخطط والقرارات سوف تكون مجرد مكاء وتصدية، وقد لا تجد من يعبأ بها، أو يهتم بمعطياتها<sup>(٢)</sup>.

٢- إنشاء ودعم معاهد ومراكز البحوث الإعلامية، التي تهتمّ بالإعلام الإسلامي، ولعلّ من الأهميّة بمكان أن تسير هذه الجهود العلمية التأصيلية وفق خطة مدروسة، وتصوّر سليم للأولويّات، وأن تعتمد على أسلوب فرّق العمل الجماعية، بدلاً من الأعمال

#### ثالثاً: المستقبل للرسالة:

شخصية مستقبل الرسالة الإعلامية، من الممكن أن نقسمها إلى عدد من الأنساق والدوائر المتداخلة:

**فالنسق الأكبر هو:** عامة الناس؛ سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين؛ لأن الوسائط الإعلامية الآن تشمل الكرة الأرضية، ثم الدائرة الثانية، وهي الجمهور الإسلامي خاصة، تليها الدائرة الثالثة، وتشمل أبناء الحركات الإسلامية على تنوعاتهم المختلفة.

**النسق الثاني:** النخب الفكرية والقوى السياسية المختلفة، التي من الضروري أن يتوجه الخطاب الإعلامي الإسلامي إلى العمل على كسب قطاع لا بأس به من نشطاء النخب العلمانيّة؛ فإما أن يصيروا في خندق المدافعين عن الحركة الإسلاميّة وأطروحاتها، أو على الأقل يقفون على الحياد، ويكفون عن صبّ أذاهم على الحركة الإسلاميّة وأطروحاتها؛ وذلك يحقق مزيداً من التأثير الإعلامي والسياسي الإسلامي؛ لأن هذه النخب ذات صوت عالٍ، ورأيها مسموع في الداخل والخارج، كما أنها تمثل قطاعاً من

(٢) المرجع السابق.

(٣) إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية، مرجع سابق.

(١) الخطاب الإعلامي السلفي... (السياق، والمكونات، والمركبات)، أحمد عمرو، مجلة البيان العدد: ٢٨٧.

والاجتهادات الفرديّة المحدودة.

٣- التفكير بصورة إبداعية علمية بنوعية المواد الإعلامية والبرامج الصالحة للعرض، وانتقاء الأفضل منها بحسب رسالة الوسيلة الإعلامية، وبما يحقق رؤيتها العامة وأهدافها المستقبلية<sup>(١)</sup>.

٤- إيجاد هيئة استشارية متخصصة؛ لتقديم المشورة للإعلاميين في التعامل مع الشؤون السياسية، وتكوين روابط اجتماعية وجمعيات أهلية يكون هدفها وضع ضوابط لمراقبة الأداء الإعلامي العام؛ لكي لا ينحرف لخدمة أشخاص أو مؤسسات بعينها.

٥- السعي نحو اجتهاد عصري يقوم به علماء يمتلكون زاداً متيناً من العلم الشرعي، ويمتلكون أيضاً زاداً متيناً من العلم الإعلامي في جانبه النظري والتطبيقي، على أن يعتمد هذا الاجتهاد العصري على تلاحم عنصرين:

أولاً: دراسة المصادر الأساسية للإسلام دراسة إعلامية علمية لاستنباط الأسس والقواعد التي تنظم العملية الإعلامية، أو تُرشد إليها، ويَرَدُّ هذه الدراسة محاولةً للكشف عن ذخائر التراث الإسلامي عبر العصور، ممّا له صلة بالممارسة الإعلامية.

ثانياً: دراسة نتاج البحوث والدراسات والممارسات الإعلامية المعاصرة، واستيعابها، ثمّ استلهاً روح التشريع الإسلامي، ونتائج الدراسة الإعلامية العلمية لمصادر الإسلام وتراث المسلمين؛ للوصول إلى رؤية واضحة لما ينبغي أن يكون عليه الإعلام الإسلامي في الجوانب النظرية والتطبيقية<sup>(٢)</sup>.

٧- الاستعانة بالخبرات الغربية، وهو أمر لا يعيب التجربة الإسلامية، بل يُكثفها ويصقل كوادرها، ويُضج أداؤها.

### عوامل نجاح الاستراتيجية:

١- انتهاج أسلوب التدرج في الإصلاح في ضوء

معرفة أن كثيراً من المفاسد والانحرافات التي تحيط بوسائل الإعلام قد استغرق نشرها وتكريسها زمناً ممتداً، وإصلاحها أو تخليص الإعلام منها يحتاج إلى زمن ممتد أيضاً<sup>(٣)</sup>.

٢- المصالحة بين المؤسسة

الدينية التقليدية وبين المبدعين

الإعلاميين؛ إذ إن انشغال المؤسسة الدينية بالقضايا التاريخية، وتخوفها من أطروحات التجديد، دفعها للعمل على تحجيم تيارات التجديد في المجتمع، وهو ما انتهى إلى الانشغال بالصراع الداخلي، أو ما أطلق عليه البعض صراع الأجيال، أو صراع الحداثة والتقليد، أو صراع المعاصرة والأصالة<sup>(٤)</sup>.

٣- نجاح العملية الإعلامية يعتمد اعتماداً كبيراً على مدى إدراك القائمين عليها للإطار العلمي النظري الذي يعملون في ضوئه؛ حيث يتخذ البعد النظري أهميته من خلال دوره الفعّال في تحديد الأسس التي تنطلق منها الرسالة الإعلامية من ناحية، ومن ناحية ثانية في طبيعة التعامل مع تلك الأسس<sup>(٥)</sup>.

٤- توافر الإرادة الحقيقية والجادة والمقدرات المادية والبشرية والتقنية الضرورية لتنفيذ الاستراتيجية، والواقع أن ذلك يشكل عقبة كبيرة، ولعلها الكبرى، وقد

(٣) المرجع السابق.

(٤) الإعلام الإسلامي.. والخطاب الجديد، مرجع سابق.

(٥) من أجل استراتيجية جديدة للعمل الإعلامي الإسلامي، د. عبد الله الحمود، رابط:

<http://www.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=16022>

(١) الإعلام الإسلامي.. والخطاب الجديد، مرجع سابق

(٢) ما هو الإعلام الإسلامي، مرجع سابق.

### الخاتمة:

وختامًا، فإن هذه الدراسة وضعناها بغية الإسهام في مشروع إعلامي حضاري يُقدم الإسلام بخطاب يلائم إنسان القرن الحادي والعشرين، ويعالج القضايا برؤية علمية تلبي حاجات الواقع، وتمتلك مساحات واسعة من الإبداع؛ لتلبية متطلبات المسلم المعاصر، وتقدمه إلى العالم من بوابة الحضور والإثراء، وتتبنى تطوير الوعي العام، وتقريب المسافات بين أمة الإسلام عامة، والحركات الإسلامية على وجه الخصوص وبقية الشعوب والثقافات المعاصرة.

يفيد في التغلب على تلك العقبة تكوين هيئة إدارية، تنفيذية تتولى بلورة وتعزيز الإرادة الجادة، والتي إذا ما توافرت فإنها ستتجح في توفير المقدرات المادية والبشرية والتقنية اللازمة لتنفيذ الاستراتيجية<sup>(١)</sup>.

٥- الاستعانة بالمؤسسات الخيرية، ومشاريعها الوقفية، في دعم وسائل الإعلام وتمويلها، والتعرف على السبل والأساليب الممكنة واللازمة لتوثيق الصلة بين الوقف ووسائل الإعلام، والإفادة منها في دعمها وتمويلها، ورعاية مشاريعها.

مع ضرورة وضع مجموعة من الضوابط المهمة للمؤسسات الوقفية الخاصة بالإعلام، وأبرزها أن تكون مؤسسات مستقلة، وألا تكون خاضعة لأي جماعة، وأن تكون لها أنظمة وضوابط تحدد عملها، وأن تكون ذات منهج سليم.

(١) الإعلام الثقافي الإسلامي الرشيد: خصائصه ومتطلباته، د. عبد الملك بن منصور حسن، صحيفة ٢٦ سبتمبر، عدد ١٤٦٣، الخميس ٢٠ أكتوبر ٢٠١١م.

## معلومات إضافية

### ثورة الاتصالات وظهور القنوات الإسلامية المتخصصة:

مع التطور التكنولوجي الرهيب الذي أحدثته ثورة الاتصال والمعلومات ظهرت الأقمار الصناعية التي تحمل البث التلفزيوني ليصل إلى كل بقاع المعمورة، وليجعل العالم -بحق- غرفة معيشة صغيرة يؤثر كل جزء فيها، ويتأثر بما يحدث في الأجزاء الأخرى.

وكان أحد أهم معالم تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ظهور القنوات الفضائية المتخصصة التي تحمل مضموناً محدداً، أو تسعى لمخاطبة جمهور محدد، وسرعان ما أصبحت تلك القنوات هي الشكل الأكثر انتشاراً وقبولاً من جانب الجمهور.

وتأتي القنوات الدينية المتخصصة على رأس اهتمامات الفضائيات العالمية؛ إذ يحظى المكون الديني باهتمام كل إنسان، ويعد مدخلاً مهماً من مداخل مخاطبته وإقناعه.

وتسبقت مختلف الدول والمؤسسات على إطلاق القنوات الدينية، وشهد الفضاء الكوني صراعاً من نوع جديد هو طرح الأيديولوجيات والحضارات. وكانت بعض الفضائيات الدينية آلات لهذا الصراع، وأداة من أدوات إدارته.

ومع بزوغ فجر عام ٢٠٠١م شهد العالم الإسلامي ميلاد ثلاث قنوات فضائية إسلامية، هي بالتتابع قناة: «اقرأ» التابعة لمحطة راديو وتلفزيون العرب (ART)، والتي تبث برامجها فعلياً منطلقاً من دبي والقاهرة، ثم قناة «طيبة» الفضائية، والتي أعلن عن تأسيسها في العام نفسه لتتطلق من دبي، والتي كان من المقرر أن تبدأ بثها المباشر مطلع عام ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

كما أُعلن في العام نفسه عن قناة «الرحمن» بجاكرتا، والتي تعد الأولى من نوعها في إندونيسيا وجنوب شرق آسيا بأسره.

ومع إطلاقة شهر رمضان عام ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م بدأ البث التجريبي لقناة المجد الفضائية، من خلال القمر الصناعي نايل سات (١٠٢) وعرب سات، منطلقاً أيضاً من مدينة دبي للإعلام، ثم القاهرة والرياض.

ثم توالى القنوات الفضائية الإسلامية، وشهدت السنوات القليلة الماضية زيادة غير مسبوقة في عدد هذه القنوات الإسلامية المتخصصة.

### عوامل ظهور القنوات الفضائية الإسلامية المتخصصة:

جاء ظهور القنوات الفضائية الإسلامية المتخصصة، وزيادة أعدادها نتيجة لعدة عوامل كان أهمها:

- التطور غير المسبوق في مجال البث الفضائي، والذي جعل تكلفة إطلاق القنوات الفضائية أقل بكثير مما كان عند بدء إطلاق الأقمار الصناعية، فبعد اختراع البث الرقمي -Digital- انخفضت تكلفة إطلاق القناة الفضائية بنسبة الثمن تقريباً.

- الصحوة الإسلامية التي شهدتها الدول الإسلامية في مختلف قارات العالم، والتي تزايدت مع التحديات السياسية والفكرية التي واجهها الإسلام والمسلمون في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر.
- حرص العديد من الدول والمؤسسات الدعوية الإسلامية على استخدام أحدث تقنيات الاتصال في توصيل رسالتها، ومن بينها استخدام القنوات الفضائية.
- إطلاق العديد من القنوات الفضائية التصيرية التي أصبحت تملأ الفضاء الكوني، والتي يوجه الكثير منها إرساله باللغة العربية لمخاطبة العرب والمسلمين في كل أرجاء الدنيا.
- تطور الأقمار الصناعية العربية والمتمثلة في مجموعة أقمار العرب سات، والنابل سات، وزيادة أعداد قنواتها القمرية، مما أتاح فرصاً ذهبية أمام العديد من الدول والمؤسسات الإسلامية لإطلاق قنوات دينية.
- لجوء بعض المؤسسات الإعلامية الضخمة الهادفة للريح إلى إطلاق بعض القنوات الفضائية الدينية التي تحظى بمعدلات مشاهدة عالية، مما يفتح أمامها تحقيق المزيد من الأرباح من خلال الإعلانات، والرسائل القصيرة، وإنتاج المواد التلفزيونية الدينية.

#### خصائص وسمات القنوات الدينية الإسلامية المتخصصة:

- وقد حملت هذه القنوات الدينية الإسلامية المتخصصة بشكل عام عدد من السمات والخصائص:
- الكَمّ الأكبر من هذه القنوات موجه باللغة العربية لمخاطبة العرب والمسلمين الناطقين بالعربية في الوقت الذي أعلنت فيه معظم هذه القنوات عند بدء إرسالها أن من أهم أهدافها الرد على افتراءات الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وتصحيح الصورة المشوهة التي يعرفها الغرب عن الإسلام.
  - القليل من القنوات الدينية الإسلامية يوجه إرساله باللغة الانجليزية، مخاطباً الجمهور الغربي من مسلمين وغير مسلمين.
  - الكَمّ الأكبر من القنوات الدينية الإسلامية المتخصصة، يمتلكه القطاع الخاص وليس الحكومات العربية والإسلامية.
  - معظم القنوات الدينية الإسلامية المتخصصة تعتمد في تمويلها على الهبات والتبرعات إلى جانب بعض الإعلانات، والرسائل القصيرة والإنتاج الخاص، وهي لا تهدف إلى تحقيق الأرباح؛ إذ إن الهدف الأسمى لها هو خدمة الدين الإسلامي، ونشر مبادئه وتعاليمه، وتبصير الناس بحقيقته.
  - الكثير من هذه القنوات يعتمد على تقديم القراءات القرآنية، وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، إلى جانب بعض البرامج التي تهدف إلى شرح آيات القرآن والأحاديث الشريفة، دون تقديم برامج تعالج واقع المسلمين المعاصر، ويناقش مشاكلهم من منطلقات دينية مما يقلل من جماهيريتها.
  - معظم هذه القنوات جاء إنشاؤه رد فعل متسرع دون دراسات متأنية لأهداف كل قناة، وخصائص جمهورها، وطبيعة المواد التي يجب أن تقدمها. أي أنه لم يسبق إنشاء هذه القنوات دراسات جدوى كافية.
  - معظم هذه القنوات لا تمتلك تقنيات حديث ومتطورة، وتعمل بشكل تقليدي يعتمد على الحديث المباشر أو



المقابلات التلفزيونية كقوالب برامجية. ويرجع ذلك إلى ضعف التمويل والإمكانيات.

#### المصدر:

- د. محمد يسري، الفضائيات الإسلامية.. تحديات وطموح، المركز العربي للدراسات الإنسانية، سلسلة رؤى معاصرة، العدد ٨، ديسمبر ٢٠٠٨م.
- «ظاهرة الفضائيات السلفية ما لها وما عليها»، ورشة عمل عقدت بالمركز العربي للدراسات الإنسانية منشورة ضمن العدد الثاني من سلسلة خلاصات استراتيجية، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

# المشهد السياسي السلفي.. دراسة حالة مصر



طارق عثمان

باحث سياسي

## ملخص الدراسة

أثمرت موجة الثورات التي اجتاحت المنطقة العربية حزمة من التغيرات الجذرية، والتي تتمثل في إسقاط أنظمة الحكم العربية في تونس ومصر وليبيا، ومازلت الثورة تعتمل في اليمن وسوريا، ويعد فتح باب السياسة أمام كل القوى السياسية بعد مرحلة الحكم السلطوي أبرز ملامح التغيير الحادثة، مما ينبئ بتشكيل بيئة سياسية جديدة في البلاد التي أنجزت فيها الثورات، ويأتي حضور القوى السلفية في الساحة السياسية المصرية ليمثل ظاهرة سياسية تستحق العناية والدراسة، ومن هنا تسعى هذه الدراسة في تحليل الظاهرة السلفية السياسية مبينة مفهوم السلفية عند المنتمين للمنهج السلفي، وكذا عند التيارات العلمانية.

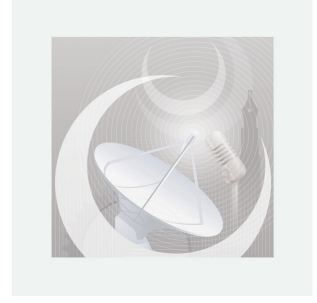
وتناقش الدراسة جدل تصنيف القوى السلفية مبينة كون التصنيفات المشهورة مبينة على اختلاف الممارسات السلفية، من حيث القضايا التي تشغل حيزاً كبيراً من خطاب الفصائل السلفية، وكذا موقف كل فصيل من بعض القضايا، والعلاقة مع السلطة الحاكمة، وتبين الدراسة كون القوى السلفية تتمتع بمشترك فكري كبير، إلا أنها تفتقر إلى كيان منظم يجمعها كلها؛ مما يصيبها بنوع من التفتت مما يؤثر على درجة حضورها المجتمعي والسياسي.

وتكشف الدراسة عن الجدل الفكري الدائر في الوسط السلفي حول مسألة المشاركة السياسية؛ حيث يمنع من المشاركة البعض، بينما لا حرج عند آخرين من المشاركة السياسية، وقد أدى هذا الجدل إلى حدوث نوع من القطيعة بين القوى السلفية والعملية السياسية في واقع ما قبل الثورة المصرية، ساعد عليها مجمل الحالة السياسية المصرية.

ولما حدثت الثورة اضطرب موقف القوى السلفية منها؛ فشارك البعض فيها، وامتنع البعض؛ وذلك بسبب الخلفية الفكرية الحاكمة لتعامل القوى السلفية مع السلطة الحاكمة، وكذا نظراً لعامل المفاجأة الذي تعرضت له كل فصائل المجتمع، ومن بعد الثورة بدأ حضور القوى السلفية في المجتمع، وتمظهر في التفاعل مع مختلف القضايا الراهنة، وتوّج هذا الحضور بإنشاء مجموعة من الأحزاب السلفية، كالنور والأصالة والفضيلة والإصلاح.

تسعى الدراسة إلى تحليل الممارسة السياسية لهذه الأحزاب، وبيان مواقفها في كل التفاعلات السياسية، ثم تحاول الدراسة رصد مجمل التحديات التي تقف أمام القوى السياسية في تجربتها السياسية، ثم تفترض الدراسة جملة من السيناريوهات المتوقعة لمستقبل التجربة السلفية في البيئة السياسية المصرية في واقع ما بعد الثورة.

# المشهد السياسي السلفي.. دراسة حالة مصر



طارق عثمان

باحث سياسي

مقدمة:

اجتاحت المنطقة العربية موجة عاتية من الثورات بداية من تونس في نهايات العام ٢٠١٠م، والتي انتهت بفرار الرئيس زين العابدين بن علي، ثم امتدت إلى مصر لتنتهي بحكم مبارك الممتد عبر ثلاثة عقود في ١٨ يوماً، وانتقلت بسرعة لليبيا واليمن لتتحول في الأولى إلى حرب تدخل فيها الفاعل الدولي، ممثلاً في حلف الناتو، والتي انتهت بمقتل القذافي في أكتوبر ٢٠١١م، وتبقى الثورة في اليمن تتأرجح على خيط رفيع بين السلم والحرب، منتظرة استسلام الرئيس اليمني علي عبد الله صالح للحقيقة الثورية، وأخيراً حطت الموجة الثورية رحالها في سوريا بشار الأسد، وما زالت تفاعلاتها مستمرة في معركة صمود بين الشعب والنظام.

ولا يزال الوقت مبكراً للتنبؤ بمستقبل هذه الثورات، وتحديد تأثيرها على الأنظمة العربية، والبيئة الإقليمية والدولية، فمعرفة ما ستؤول إليه الأمور مرهونة بمدى نجاح هذه الثورات في استئصال بقايا الأنظمة المسقطية، وضبط المراحل الانتقالية لتفادي حدوث اضطرابات تؤثر على بنية هذه الدول، ومدى المقدرة على تأمين عملية ديمقراطية حقيقية لتكوين أنظمة جديدة.

وبالرغم من كون عملية تكوين تصور كامل عن مستقبل الأوضاع السياسية في المنطقة، أمراً بعيد المنال، إلا أن حزمة من التغيرات -الداخلية في المقام الأول- يمكن لحظها؛ على قمة هذه التغيرات يأتي فتح باب العملية السياسية لكل القوى السياسية المختلفة في المجتمعات العربية، بعدما كان مغلقاً - فعلياً على الأقل- في ظل الأنظمة المسقطية.

إذاً نحن أمام بيئة سياسية جديدة ستتشكل في واقع ما بعد الثورات التي أنجزت في مصر وتونس، وبالنظر إلى النخب السياسية في هذه المجتمعات يمكن حصرها أيديولوجياً في جناحين: الأول علماني بتميزاته المختلفة يسارية وليبرالية، والثاني إسلامي.

وبالتأكيد على الجناح الإسلامي نجد أنه طيلة الوقت كان ممثلاً في جماعة الإخوان المسلمين، والتي كانت حريصة على الحضور في المشهد السياسي في ظل الأنظمة التي اقتلعتها الثورات، ولكن بعد الثورات العربية التي أنجزت -مصر أنموذجاً- نرى أن جماعة الإخوان المسلمين لم تعد محتكرة للمشهد السياسي الإسلامي، وإنما وفد إلى هذا المشهد أعضاء جدد من القوى الإسلامية أبرزها التيار السلفي، والذي كان غائباً تماماً عن المشهد السياسي؛ لأسباب ذاتية تخصه كبناء فكري، وممارسة تنظيمية، وأسباب أخرى موضوعية تخص البيئة السياسية بشكل عام.

٢- مدخل مفاهيمي لبيان مفهوم السلفية على مستوى الفكر والممارسة.

٣- مباحث الدراسة، والمتمثلة في:

المبحث الأول: القوى السلفية والعملية السياسية.. مسار العلاقة.

المبحث الثاني: مستقبل القوى السلفية السياسي.. قراءة في التحديات.

٣- خاتمة، وفيها خلاصة تنفيذية لأهم نتائج البحث.

### السلفية والسلفيون.. مدخل مفاهيمي

#### أولاً: السلفية: قراءة مصطلحية:

##### ١- في القراءة المعجمية:

عند الكشف عن لفظ سلف في المعجم اللغوية نجد أن معناها يدور على الماضي، والتقدم والسبق الزمني. قال ابن فارس: «السين واللام والفاء أصل يدل على تقدم وسبق»<sup>(١)</sup>.

ويقال في اللغة: سلف يسلف سلفاً وسلوفاً: تقدم والسالف: المتقدم، والسلف: الجماعة المتقدمون<sup>(٢)</sup>.

والسلفي هو: المنسوب أو المنتسب للسلف؛ لأن الياء هذه ياء النسبة، فالسلفي هو الذي ينسب نفسه أو ينسبه غيره للجماعة المتقدمين؛ وذلك لأنه تحقق بجانب السبق الذي به صار أولئك السابقون سلفاً.

والسلفية: نسبة مؤنثة للسلف، كالسلفي للذكر.

ولكن لفظ السلفية باعتباره مصدرًا صناعيًا يحتوي على المعنى الذي تجسد في القوم المتقدمين كي يكونوا سلفاً لمن بعدهم، وتكون النسبة إليهم على قدر التحقق بهذا المعنى.

هذا الحضور السلفي في المشهد السياسي مثل ظاهرة حازت على قدر كبير من الاهتمام والعناية الإعلامية، وصار هناك جدل نخبوي عن مدى تأثير القوى السلفية على البيئة السياسية، ومدى مقدرتها على الممارسة السياسية حيث تعتبرها عديمة الخبرة في هذا الشأن.

ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة مستهدفة الظاهرة السلفية السياسية بالوصف والتحليل، في سبيل تكوين إطار عام عن هذه الظاهرة، يمكن من فهمها، ومعرفة أثرها على البيئة السياسية، ولذا تحاول الدراسة الإجابة عن تساؤل رئيس هو: ما ماهية الظاهرة السلفية السياسية؟ وما تأثيرها على البيئة السياسية المصرية؟ وما تحديات الواقع السياسي المحددة لمستقبل القوى السلفية السياسي؟

وفي هذا السياق تحاول الدراسة الإجابة عن تساولين فرعيين لفهم هذه الظاهرة: الأول: ما مفهوم السلفية على مستوى الفكر والممارسة؟ والثاني: ما طبيعة العلاقة بين القوى السلفية والمشاركة السياسية؟

ومن أجل هذا الهدف تستخدم الدراسة بعض الأدوات المنهجية:

١- المنهج الوصفي التحليلي لتوصيف معطيات المشهد السياسي السلفي، وتحليلها وصولاً لنتائج تساعد في فهم الظاهرة.

٢- إطار اقتراب الجماعة؛ حيث نعتبر القوى السلفية وحدة التحليل الأساسية في فهم الظاهرة ومقاربة أثرها على البيئة السياسية.

٣- منهج مستقبلي معياري كالسيناريو لاستشراف مستقبل الحضور السياسي السلفي من خلال قراءة تحديات الواقع السياسي.

#### وستنظم الدراسة في المحاور التالية:

١- مقدمة، وفيها تمهيد وأهمية الدراسة، والمشكلة البحثية، ومنهج الدراسة.

(١) أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٣/ ٩٥ ط ٢/ ١٣٨٩هـ.  
(٢) انظر الأزهرى، تهذيب اللغة ج ١٢ / ص ٤٣١-٤٣٢ مادة سلف، ط الدار المصرية.

## ٢- في القراءة المصطلحية:

### مفهوم السلفية عند السلفيين:

"حينما نبحث في التراث الإسلامي عن السلف بصفتهم الجماعة السابقين لغيرهم بشيء ما، والسلفية بصفتها المعنى الذي سبق به السابقون، سنجد أن السلف هو: الصدر الأول من المسلمين في هذه الأمة، أي الصحابة، وسنجد أن السلفية هي المعنى الإسلامي الذي تمثلوه في قلوبهم فهمًا وفي شخصياتهم سلوكًا، والسلفي هو الحامل للمعنى الذي حملوه مفاهيم وسلوكًا"<sup>(١)</sup>.

**تعد الحداثة على النقيض من الفكر السلفي، فبينما تدعو الحداثة للتحرر من الماضي بكل قيمه الدينية والتراثية، تأتي السلفية لتؤكد أهمية العودة لتراث الأمة، وتوظيف قيمه في تحريك عجلة النهضة المتعثرة، والحفاظ على الثوابت وقضايا الهوية**

للسلفية لدرجة تجعله مفهومًا غامضًا غير محدد المعالم، يتسع حينًا لتُوصف به كل الحركات الإسلامية، ويضيق أحيانًا ليوسم به فصيل معين، وبالنظر في هذه التعريفات لمصطلح السلفية نجد تعريفات معيارية منطلقة من خلفيات مسبقة عن الموقف من السلفية والسلفيين، والحركة الإسلامية عمومًا، وفي مجملها متأثرة بالفكر الغربي، وتبنيها لفكر الحداثة، والتي تعد النقيض من الفكر السلفي، فبينما تدعو الحداثة للتحرر من الماضي بكل قيمه الدينية والتراثية، تأتي السلفية لتؤكد أهمية العودة لتراث الأمة، وتوظيف قيمه في تحريك عجلة النهضة المتعثرة، والحفاظ على

الثوابت وقضايا الهوية؛ لذا نلاحظ الطابع الانفعالي في تعريفهم للسلفية، فنجدها «قفز على الواقع، وإلغاء لمفهوم الزمان، وإنكار لعوامل التغيير والتطور في المجتمع، عمادها فهم ماضوي يعتبر أولوية الثوابت على المتغيرات، واتخاذ النص بديلاً عن الواقع». كما أقاد مؤتمر الحركات الإسلامية المعاصرة في الوطن العربي الذي نظّمه مركز دراسات الوحدة العربية<sup>(٢)</sup>.

وهي «حالة من الخواء الفكري بدليل العودة إلى السلف الصالح، والشعور بالضعف تجاه العلم الحديث، ومكاسب الفكر الأوروبي، فالسلفية باختصار هي هيمنة الماضي على الحاضر وغياب العقل واعتماد النقل»<sup>(٣)</sup>.

وعند برهان غليون هناك سلفيات وليست سلفية واحدة، ويراها في المجمل سعيًا نحو إحياء التراث الإسلامي<sup>(٤)</sup>.

نلاحظ مدى اتساع المفهوم عند غليون ليصبح

وعند تتبع مفهوم السلفية في الفكر العربي المعاصر نجد أن المنتسبين للسلفية- وللحركة الإسلامية عمومًا، ولو لم ينضوا تحت تنظيم سلفي- يكادون يجمعون على هذا المفهوم لمصطلح السلفية مع تباين في التعبير عنه<sup>(٥)</sup>.

ويمكن إنجاز مفهوم للسلفية من خلال تتبع هذه التعريفات كالاتي: «الاتجاه المقدم للنصوص الشرعية على البدائل الأخرى منهجًا وموضوعًا، والملتزم بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم وهدي أصحابه علمًا وعملاً، المطرح للمناهج المخالفة لهذا الهدي في العقيدة والعبادة والتشريع»<sup>(٦)</sup>.

### مفهوم السلفية عند غير السلفيين:

أما عند المفكرين غير المنتسبين للمنهج السلفي - وللحركة الإسلامية عمومًا- فنجد تباينًا في فهمهم

(١) عبد الرحمن الزيندي- السلفية وقضايا العصر ص ٢٠ دار إشبيليا ط ١٩٩٨م.

(٢) وهذا متواتر في الأدبيات السلفية، مثل معالم الانطلاقة الكبرى، محمد عبد الهادي المصري، والصحوة الإسلامية ليوسف القرضاوي. والسلفية قواعد وأصول لأحمد فريد، والسلفية لعلاء بكر، والمنهج السلفي لمفرح القوسي.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩.

(٤) الحركات الإسلامية في الوطن العربي- مجموعة باحثين - مركز دراسات الوحدة العربية ص ٣٥٥ ط ١ بيروت.

(٥) كما عند منصف وناس في بحثه المساهمات العربية المعاصرة، مسألة المثقف العربي ضمن كتاب الانتلجنسيا العربية، ص ٢١١.

(٦) راجع كتابه اغتيال العقل ص ٢٨٠.

الوضوح عند تجريده وتحريره، إلا أن هناك ما يكدر عليه هذا الصفو والوضوح، وهو النظر إلى السلفية من خلال المنتسبين لها، ومحاولة تعريفها من خلال ممارستهم؛ مما يجعلنا أمام عدد كبير من الاختلافات، وهذا يؤدي بكثير من الباحثين إلى ظن وجود أكثر من سلفية، هذا الخطأ المنهجي أدى إلى وجود حالة من التشويش والغموض على مفهوم السلفية.

فمن الطبيعي أن توجد مسافة معينة بين أي فكر في مستواه النظري المجرد، وبين تطبيقاته على يد معتقيه؛ حيث هناك الكثير من العوامل والشروط المجتمعية التي تحدد عملية نقل الفكر إلى عالم

التطبيق، وينطبق هذا على كل الأفكار، ومنها السلفية لذا فمن المهم تجريد محتوى الفكر ومركزاته المبني عليها، ومن ثم فهم ممارسات وتطبيقات معتقيه في سياقها، وليس العكس.

وفي الحالة السلفية نجد أن المحور الذي يبتنى عليه هذا الفكر هو تقديم النصوص الشرعية، وفهمها وتطبيقها، كما فهمها وطبقها الصحابة، ومن تبعمهم على طريقتهم. فكل من يبتنى الفكر السلفي ينطلق من هذا الأساس، ويحاول ربط كل ممارساته به، فالتميزات بين المنتسبين للفكر السلفي ليست في هذا الجوهر، وإنما في بعض القضايا والمواقف؛ حيث يتخذ البعض موقفاً معيناً يغير موقف آخرين، والكل يؤكد أن موقفه هذا منطلق من أنه محاولة لتطبيق معنى السلفية الذي يتفق عليه الكل، وكذلك في تحديد السبيل الأمثل للإصلاح يتميز المنتمون للسلفية مع الانطلاق من نفس المركز.

لذا يمكننا القول بأنه لا يوجد حدود صلبة تفصل بين أكثر من اتجاه داخل الجسد السلفي، تجعلنا نعتبر وجود أكثر من سلفية؛ لذا نجد أكثر أدبيات شئون الحركات الإسلامية تقوم بعملية التصنيف، بناءً على الموقف من قضية معينة بحيث يصير أساساً للتصنيف،

فضفاضاً يشمل كل من يسعى لإحياء التراث الإسلامي، ولكن نراها أكثر اتساعاً عند محمد أركون؛ حيث تتمثل في ادعاء الانتساب إلى الرسالة القرآنية، وتجربة المدينة<sup>(١)</sup>.

وبذلك توشك أن تكون السلفية ترادف الإسلام، وبالمثل نجد عابد الجابري يسم كل مشاريع النهوض العربي بالسلفية على تعددها، فسلفية دينية، وأخرى ماركسية، وثالثة اشتراكية ليبرالية<sup>(٢)</sup>.

هكذا نجد السلفية عند هؤلاء غير محددة المعالم بصفتها منهجية ذات قواعد ثابتة متميزة أو مذهبية ذات أصول راسخة محددة<sup>(٣)</sup>.

نخلص من هذا المدخل إلى أن مصطلح السلفية متسق مع الأصل اللغوي له، والذي يعني التمسك بما كان عليه المتقدمون في التصورات والسلوك، والمعنيون هنا هم الصحابة ومن تبع منهجهم؛ إذ إننا نتكلم في نطاق سلفية تخص المعنى الإسلامي، وهذا ما توافق عليه المنتمون للاتجاه السلفي، أما غيرهم من المفكرين سواء من انتمى للحركة<sup>(٤)</sup> الإسلامية - وهم قلة - أو من العلمانيين؛ فمفهومهم عن السلفية مبني على أحكام معيارية مسبقة ترى السلفية من خلال الممارسات الفردية للمنتمين لها، وكذا فهو فهم متأثر بقيم الحدائة الغربية الراضة لكل قديم.

### ثانياً: السلفيون.. جدل التصنيف:

بالرغم من كون مصطلح السلفية يتسم بقدر كبير من

(١) انظر كتابه الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح ص ٧٩.

المركز الثقافي العربي الدار البيضاء.

(٢) انظر كتابه نحن والتراث ص ١٢-١٦ مركز دراسات الوحدة العربية.

(٣) راجع السلفية وقضايا العصر، لعبد الرحمن الزنيدي؛ للوقوف على مفهوم السلفية عند المفكرين الحدائين العرب ص ٣٤-٤١ مرجع سبق ذكره.

(٤) كمحمد سعيد رمضان البوطي الذي ينكر وجود سلفية أصلاً.



السلفي معتمداً في ما سواها- ولكن ما يعيننا هنا هو التسمية الصريحة، وبحسب الحالة التنظيمية لهذا الجسد السلفي نجد أنه ينقسم إلى:

### أولاً: قوى سلفية لها كيان تنظيمي:

وتحت هذا القسم نجد التنظيمات التالية:

١- الجماعة الإسلامية.

٢- الدعوة السلفية.

٣- جماعة أنصار السنة.

٤- الجمعية الشرعية.

### ثانياً: قوى سلفية ليس لها كيان تنظيمي:

هذه القوى عبارة عن رمز سلفي يمتلك قدرة تأثيرية على الكثير من الأتباع، ولكن لا يجمعهم إطار تنظيمي نمطي، وهنا تبرز المجموعات التالية:

١- مجموعة معنية بالقضايا الدعوية والدينية العامة والسياسي منها بالخصوص، والدعوة لتطبيق الشريعة، مثل:

د. محمد عبد المقصود، وفوزي السعيد.

٢- مجموعة معنية بالشأن التربوي والدعوي، مثل:

- محمد حسان، ومحمد حسين يعقوب، وأبو إسحاق الحويني.

٣- مجموعة ما يسمون بالتيار المدخلي أو الجامية<sup>(٢)</sup> مثل:

- محمد سعيد رسلان، ومحمود عامر، وأسامة القوصي، وعلي حشيش.

وتتداخل هذه الأقسام بدرجة أو بأخرى، ولكنها تعطي مقدرة تصنيفية معقولة، ويعد هذا المدخل التصنيفي يمكن ملاحظة كون التيار السلفي بالرغم من الوحدة الفكرية التي يتسم بها، إلا أنه يعاني من حالة تفتيتية تؤثر قطعاً على مستوى أدائه المجتمعي عامة، والسياسي على وجه الخصوص.

(٢) للوقوف على فكر هذا التيار راجع «الجامية» كتاب المسبار الشهري صادر عن مركز المسبار للدراسات.

فمثلاً الموقف من استخدام العنف تقسم إلى حركات سلمية، وأخرى غير سلمية<sup>(١)</sup> وهكذا، لكن بعد عملية التصنيفات يظل أساس الفكر السلفي موجوداً عند الكل، وقد درجت هذه الأدبيات على تقسيم القوى السلفية - البيئة المصرية أنموذجاً - بحسب:

- طابع المشاركة المجتمعية التي يغلب عليها (الدعوة الدينية - العمل الاجتماعي - العناية بالعلوم الشرعية).

- المسائل التي تعني بها، وتحتل مكانة كبيرة في خطابها.

- موقفها من بعض القضايا المهمة؛ كقضايا الجهاد، والعلاقة مع السلطة السياسية، ومزاولة النشاط السياسي إلى:

- سلفية اجتماعية.

- سلفية تركية.

- سلفية علمية.

- سلفية جهادية.

- سلفية حركية.

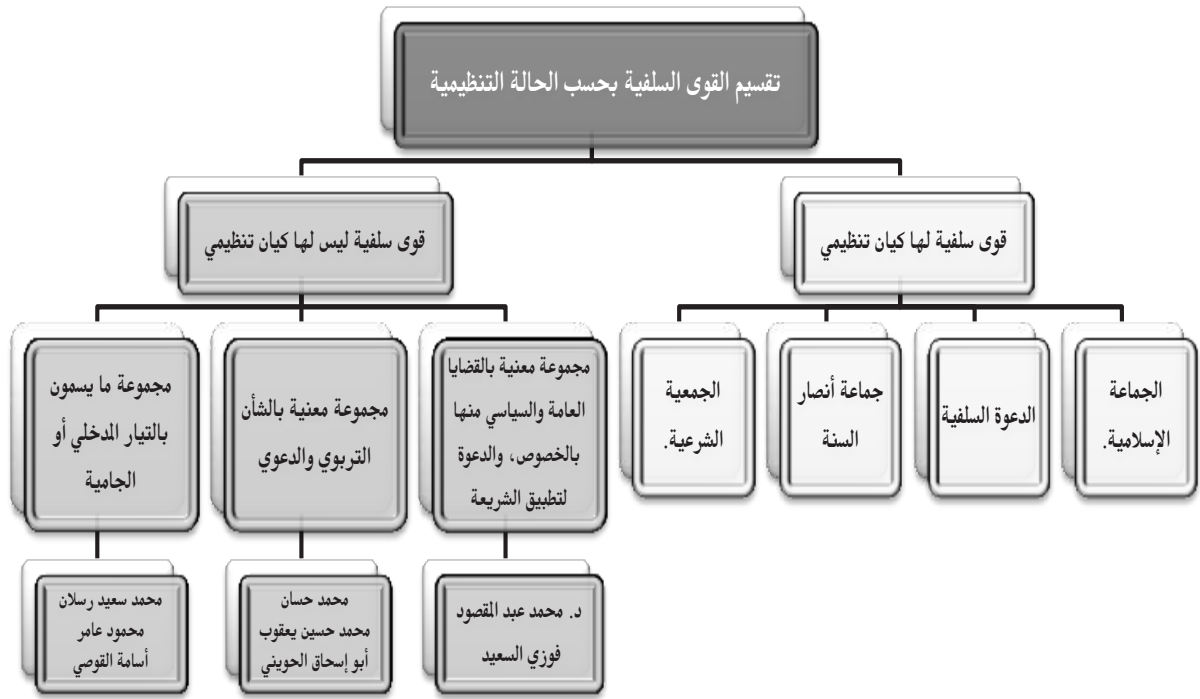
- سلفية جامية مدخلية<sup>(٢)</sup>.

نجد أن الخطوط الفاصلة بين هذه التصنيفات غير واضحة، ومبنية على متغيرات مجتمعية؛ لذا نجد أن واقع ما بعد الثورة المصرية قد يدفع نحو تغيير تلك الحدود الفاصلة بين هذه التصنيفات، وبالتالي تصبح قيمتها التفسيرية ضئيلة؛ لذا سنسلك طريقاً مختلفاً في هذه الدراسة عند محاولة تصنيف القوى السلفية؛ حيث لن نعتمد في التصنيف على فروق فكرية، وإنما سنعتبر الحالة التنظيمية هي محدد التصنيف؛ لذا يمكننا التصنيف كالآتي:

بعد استبعاد جماعة الإخوان المسلمين، والتيار الصوفي، وتيار التبليغ والدعوة، يتبقى لنا القوى التي تتسمى صراحة بالسلفية - وهذا لا يمنع كون الفكر

(١) كالتصنيف المتبع في دليل الحركات الإسلامية الصادر عن مركز الأهرام للدراسات.

(٢) راجع هاني نسيرة، دورية كراسات استراتيجية، عدد ٢٢٠، السلفية في مصر تحولات ما بعد الثورة، مركز الأهرام للدراسات.



جدل لا يقل احتداماً حول الممارسة الديمقراطية، وإن كانت جماعة الإخوان قد حسمت أمورها مبكراً؛ حيث تعد العملية السياسية ركناً في مشروعها الإصلاحية، أما على المستوى السلفي فتعد قضية الديمقراطية، والموقف من المشاركة في الحياة السياسية، من أكثر القضايا المثيرة للجدل في الوسط السلفي، وقد شغلت مساحة واسعة من الجدل والنقاش الفكري؛ ما بين رافض للانخراط في العملية السياسية، وآخر يدعو إليها مع تفاوت في درجات الرفض والقبول، وصنفت الكثير من الأدبيات في كلا الاتجاهين<sup>(٢)</sup>.

وكان التيار المانع من المشاركة في الحياة السياسية يجادل بأحد أمرين: الأول: كون النمط الديمقراطي ووضعية الدساتير العربية الحاكمة تتناقض مع قضايا عقديّة؛ بحيث يستحيل الخوض في غمار العملية السياسية دون المساس بالثوابت العقديّة. أما الثاني: فهو أقل حدة من الأول؛ حيث جذب القضية بعيداً

(٢) كتابات عمر الأشقر، وعبد الرحمن عبد الخالق، وصلاح الصاوي، والسلفية ومناهج التغيير لياسر برهامي، والديمقراطية في الميزان لسعيد عبد العظيم.

## المبحث الأول القوى السلفية والعملية السياسية.. مسار العلاقة

المطلب الأول.. واقع ما قبل الثورة .. قطيعة سياسية:

### ١- السلفيون والسياسة: جدل فكري:

مع بزوغ ما اصطُح عليه بالصحوّة الإسلامية، أو تيار الإسلام السياسي، صارت القوى الإسلامية رقمًا صعبًا في البيئة السياسية العربية، أثار ذلك قضية إشكالية، وهي مقدرة هذه القوى الإسلامية على التعااطي مع مسألة الديمقراطية والالتزام بقواعدها<sup>(١)</sup>.

هذا على صعيد البيئة المحيطة بالقوى الإسلامية، أما على صعيد الداخل الإسلامي نفسه، فهناك

(١) راجع الحركات الإسلامية والديمقراطية، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، وكذلك التيارات الإسلامية وقضية الديمقراطية، حيدر علي، مركز دراسات الوحدة العربية، والمناطق الرمادية، بحث حول الحركات الإسلامية والديمقراطية من مؤسسة كارنيجي للسلام.

للسلطة السياسية الحاكمة، وعدم تناولها بالنقد، أو التأييد، بدرجة تثبت وجود القوى السلفية في البيئة السياسية<sup>(٢)</sup>.

هذه المظاهر أدت إلى الغياب التام للقوى السلفية من المشهد السياسي، وكان الباعث عليها السبب الفكري المتعلق بالموقف الشرعي من الممارسة الديمقراطية، وهذا سبب ذاتي ساعد عليه سبب موضوعي، وهو مجمل الحالة السياسية التي فرضها النظام القائم قبل الثورة: حيث لا مكان في المشهد السياسي لغير المؤيدين له، وبالتالي كان هناك سبب أمني مفروض على القوى الإسلامية والسلفية بالخصوص، يزيد من درجة إعراضها عن السياسة إجمالاً، ويجعلها ترى في المشاركة السياسية مفاصد تفوق كثيراً ما يمكن أن تعطيه من مكاسب.

## المطلب الثاني: واقع ما بعد الثورة.. السلفيون في المشهد السياسي:

يمكن اعتبار ثورة الخامس والعشرين من يناير نقطة تحول مفصلية في مسار الحضور المجتمعي للقوى السلفية، فبعد حالة القطيعة بين القوى السلفية والحياة السياسية، حصلت حالة انخراط كامل بينهما، مما شكّل ظاهرة لافتة جذبت الرأي العام لتحتل مساحة واسعة من الدوائر الإعلامية، تناقش فيها هذه الظاهرة الجديدة، فالقوى السلفية قبل الثورة بالرغم من حضورها الشعبي الكبير؛ حيث تتمتع بدرجة عالية من الحضور بين الطبقة المتوسطة، وبدرجة أقل بين شرائح أخرى، إلا أنها كانت تعاني من حالة اغتراب نخبوي ورسمي.

ويمكن تتبع الظاهرة السلفية السياسية في واقع ما بعد الثورة في المحاور التالية:

(٢) كان للدعوة السلفية بالإسكندرية النصيب الأوفر في هذا التفاعل السياسي النسبي، مقارنة بغيرها من القوى السلفية، ويدل على ذلك مبادرة الإصلاح التي أطلقتها في العام ٢٠٠٥م.

عن الساحة العقدية، وجعلها أمراً اجتهادياً يسوغ الاختلاف عليه، ولكنه يمنع من الممارسة السياسية؛ لأنه يرى أنها تأتي بأضرار تفوق المصالح المرجوة منها في سبيل الإصلاح والتغيير<sup>(١)</sup>.

وقد كان الصوت المنادي بولوج باب السياسة من أجل الإصلاح صوتاً خافتاً غير مسموع حتى صار الموقف الرسمي للقوى السلفية هو عدم المشاركة في الحياة السياسية، حتى تشكلت حالة من القطيعة بين القوى السلفية والسياسة بكل صورها.

## ٢- السلفيون في واقع ما قبل الثورة: القطيعة السياسية:

كانت البيئة السياسية في واقع ما قبل ثورة الخامس والعشرين من يناير خالية من أي حراك فعلي، فقط الحزب الحاكم متفرد بالسلطة، وحوله مجموعة من الأحزاب التي تمارس دور معارضة وهمية، وعلى الجانب الإسلامي تأتي جماعة الإخوان المسلمين لتخوض غمار البيئة السياسية، مشاركة في العملية الانتخابية، ومتفاعلة مع القضايا السياسية عموماً.

أما على المستوى السلفي فقد كان الأمر مختلفاً؛ حيث كانت هناك حالة من القطيعة الكاملة مع المشهد السلفي، تظاهرات هذه الحالة كالآتي:

١- عدم الترشح للمجالس النيابية؛ ففي كل الانتخابات البرلمانية المصرية من (١٩٨٧م إلى ٢٠١٠م) لم تشارك القوى السلفية فيها، فضلاً عن عدم المشاركة، كانت العملية الانتخابية لا تتال أي قدر من الاهتمام، حتى وصلت درجة القطيعة إلى عدم الإدلاء بالأصوات من الأساس.

٢- البعد عن النشاطات السياسية الأخرى، كممارسة الضغط على السلطة السياسية، من خلال منظمات المجتمع المدني، كالتقابات والاتحادات الطلابية.

٣- تجنّب التفاعل مع السياسات الداخلية والخارجية

(١) للوقوف على تفاصيل هذه الأقوال، راجع محمد شاكر الشريف «المشاركة في البرلمان والوزارة» كتاب البيان ٢٠٠٨م.

## أولاً: السلفيون والثورة.. حالة اضطراب:

مثلت الثورة البداية الفعلية لحضور القوى السلفية في المشهد المجتمعي، وقد امتاز الموقف السلفي من الثورة بنوع من الاضطراب، من حيث المشاركة فيها من عدمها، أو الموقف المجمل من الثورة؛ من حيث التأييد أو الرفض كمستوى أدنى من التفاعل مع الثورة، وقد تنوع الموقف السلفي من الثورة كالآتي:

### ١- المشاركة الفعلية في الثورة:

وذلك بالتأييد المطلق لها، ودعوة المجتمع للمشاركة فيها، ونزول الرموز السلفية للميادين، وقد تبنى هذا الموقف ما يوصف بالجناح الحركي من القوى السلفية، ومن رموزه الدكتور محمد عبد المقصود، والشيخ فوزي السعيد، والشيخ نشأت أحمد.

### ٢- عدم تأييد الثورة ورفض المشاركة فيها:

وتبنى هذا الموقف التيار المدخلي من القوى السلفية، وبعض الرموز الدعوية، كمحمد حسين يعقوب، ومحمود المصري.

### ٣- عدم المشاركة الفعلية في

الثورة، مع التفاعل معها:

وتبنى هذا الموقف الدعوة السلفية بالإسكندرية؛ حيث رفضوا النزول للشارع، ولكن تفاعلوا مع الحدث بإصدار البيانات التي تدعو إلى حفظ الأمن، وحماية الأرواح، وكذلك شاركوا في حماية الشارع.

### ويمكن إرجاع هذا الموقف المضطرب إلى:

١- عامل المفاجأة: وقد ساعده كون القوى السلفية عمومًا تميل إلى عدم الصدام مع السلطة السياسية.

٢- تفتت الجسم السلفي: وبالتالي يصدر كل فريق عن رؤيته الشخصية للأمر.

ومع انتهاء الثورة وسقوط النظام الحاكم صار موقف

القوى السلفية كباقي المجتمع مؤيدًا للثورة، وبدأت مرحلة جديدة من واقع القوى السلفية: حيث صارت حاضرة في المشهد المجتمعي تتعم برعاية إعلامية كبيرة؛ لكونها واعدًا جديدًا إلى المشهد.

## ثانيًا: القوى السلفية ومظاهر الحضور المجتمعي:

### ١- الاستفتاء على التعديلات الدستورية في مارس ٢٠١١م:

حيث حشدت القوى السلفية المجتمع للتصويت بنعم على التعديلات، وبالفعل أجازت التعديلات بنسبة موافقة ٧٠٪، مما أظهر قدرة القوى السلفية على حشد المجتمع، والتأثير في الرأي العام.

### ٢- التفاعل مع الأحداث الجارية:

وذلك بإصدار البيانات، والإدلاء بالرأي حول

الأحداث، والمشاركة في المناقشات التي تدور حولها، والظهور الدائم في المشهد الإعلامي، وعقد المؤتمرات في كل المحافظات، وخصوصًا في المسائل المتعلقة بقضية الطائفية في مصر، كأحداث كنيسة

صول، وأحداث إمبابة، وماسبيرو، وتطلق مواقف القوى السلفية في هذا السياق من محاولة إزالة أي توتر قد يصيب العلاقة مع الأقباط.

### ٣- تأسيس كيانات سلفية منظمة:

مثل جمعية الدعوة السلفية، والجبهة السلفية، والهيئة الشرعية للحقوق والإصلاح<sup>(١)</sup>، ومجلس شورى العلماء<sup>(٢)</sup>، والتي حرصت على التفاعل مع الأحداث،

(١) تأسست مبدئيًا أثناء الثورة، وتسعى لتكون إطارًا لكل القوى الإسلامية، يرأسها د. علي السالوس وأمينها د. محمد يسري.

(٢) يضم أهم رموز جماعة أنصار السنة، كجمال المراكبي والشيخ محمد حسين يعقوب، والدكتور سعيد عبد العظيم من الدعوة السلفية.

١ يقول: إنه لا مانع شرعاً من المشاركات السياسية في مجلس الشعب والشورى والمحليات<sup>(١)</sup>.

وكذلك يقول الدكتور ياسر برهامي: إنه في الماضي كانت موازين القوى تفرض على من يشارك أن يتنازل عن ثوابت عقدية، لا يمكن أن نتنازل نحن عنها، أما الآن فيوجد قدر كبير من الحرية يمنع أن تفرض علينا تنازلات<sup>(٢)</sup>.

ومن جانبه قال عصام درباله رئيس مجلس شورى الجماعة الإسلامية: إن الثورة أزاحت الحاجز الذي كان مفروضاً على التيار الإسلامي من ممارسة العمل السياسي<sup>(٣)</sup>.

وهنا يظهر أن القوى السلفية أقبلت على الممارسة السياسية بدون أساس فكري مكين يوضح حدود العلاقة مع السياسة، ويشمل كل أبعاد هذه الممارسة، ولكن انطلقت من كون العمل السياسي وسيلة للإصلاح يمكن سلوكها أو التخلي عنها، تاركة صورة نمطية عن علاقة القطيعة بينها وبين السياسة راسخة في الرأي العام بلا معالجة شافية، هذا الغطاء الفكري القاصر للممارسة السياسية قد يظهر أثره عند مقابلة التحديات التي يفرضها الواقع السياسي.

## ٢- الخريطة الحزبية للقوى السلفية:

لما كانت القوى السلفية لا تتمتع بكيان تنظيمي واحد لم يصدر عنها حزب سياسي واحد، وإنما تعددت الأحزاب بتعدد تلك القوى وتشعبها، ويتشكل المشهد السياسي السلفي من الأحزاب الآتية:

### ١- حزب النور:

- أول حزب سلفي يتأسس بعد الثورة، تقدم بأوراقه للجنة الأحزاب في مايو ٢٠١١ م.

(١) راجع البيان على الرابط:

<http://www.shora-alolamaa.com/play.php?catsmktba=5>

(٢) راجع كلامه في مقال على الرابط:

<http://www.anasalafy.com/play.php?catsmktba=25230>

(٣) وذلك في مؤتمر تأسيس حزب الجماعة البناء والتنمية.

وتوجيه الرأي العام.

## ٤- المبادئ فوق الدستورية:

حيث عارضت القوى السلفية بقوة هذه المبادئ، ودخلت في صراع مع القوى العلمانية، وحشدت الشارع في جمعة الإرادة الشعبية في ٢٩ يوليو، وكذا في جمعة ١١/١٨ ومعها باقي القوى الإسلامية.

وبتحليل هذه المواقف نجد أن القوى السلفية في مواقفها تتطرق من مسألة الهوية الإسلامية لمصر، وعدم العبث بالمادة الثانية من الدستور، وهذا المنطلق يمثل خلفية تفسيرية لكل مواقف القوى السلفية من القضايا الراهنة في الساحة السياسية المصرية.

## ثالثاً: السلفيون والحياة الحزبية:

يمثل اتجاه القوى السلفية لتكوين الأحزاب السياسية النقلة الأهم في مسارها المجتمعي، والتحول الكلي من القطيعة السياسية إلى ممارسة السياسة في أوضح صورها، وساعد على ذلك فتح باب تكوين الأحزاب السياسية في مصر بعد الثورة، وعدم التحفظ على وجود الأحزاب ذات الخلفية الإسلامية في المشهد السياسي، فتم التصريح لحزب الوسط، وكذلك حزب الحرية والعدالة الذراع السياسي لجماعة الإخوان المسلمين.

## ١- السلفيون والسياسة.. نهاية الجدل الفكري:

هل حسم السلفيون الموقف الشرعي من الممارسة السياسية بتشكيل الأحزاب، والدخول في البرلمان؟ بعد الثورة وفي هذا السياق المتسارع للأحداث لم تعط القوى السلفية مساحة واسعة للجدل الفكري حول مشروعية الممارسة السياسية، وإنما سبقت الممارسة التأيير النظري، وسارعت لتأسس أحزاب سياسية: حيث كان المزاج العام للجسد السلفي متجهاً للعمل السياسي، حاشا بعض الرموز المدخلة، والتي لا تمثل جزءاً كبيراً من القوى السلفية، وجادلت القوى السلفية بكون الأوضاع قد تغيرت بعد الثورة، وصار الإصلاح عن طريق السياسة أمراً ممكناً بعكس ما قبل الثورة، فنرى مجلس شورى العلماء في بيانه رقم

- وكيل مؤسسيه دكتور عماد عبد الغفور.

- هو الذراع السياسي لجمعية الدعوة السلفية بالإسكندرية<sup>(١)</sup>.

- يصدر الحزب صحيفة أسبوعية باسم النور الجديد.

## ٢- حزب الفضيلة:

- أعلن عن تأسيسه في مايو ٢٠١١م.

- وكيل مؤسسيه لواء عادل عفيفي، ومن أهم أعضاء مكتبه السياسي (د. محمد عبده إمام - د. خالد سعيد - محمود فتحي).

- كان مدعوماً من الرمز السلفي الدكتور محمد عبد المقصود.

- تعثر الحزب في جمع التوكيلات، وانشق عنه عادل عفيفي، وأصبح محمود فتحي هو وكيل المؤسسين، وكذا سحب الشيخ محمد عبد المقصود دعمه للحزب.

## ٣- حزب الأصالة:

- خرج من رحم حزب الفضيلة في يوليو ٢٠١١م.

- يرأسه عادل عفيفي، ومدعوم من الرمز السلفي الشيخ محمد عبد المقصود، والشيخ محمد حسان.

## ٤- حزب البناء والتنمية:

- تأسس في أغسطس ٢٠١١م بعدما رفضته لجنة الأحزاب في البداية، ثم قبلت الطعن على الرفض، وسمحت بتأسيسه.

- الذراع السياسي للجماعة الإسلامية.

- وكيل مؤسسيه القيادي في الجماعة دكتور صفوت عبد الغني، ويضم في مكتبه السياسي دكتور طارق الزمر.

## ٥- حزب الإصلاح والنهضة:

- يرأسه هشام مصطفى عبد العزيز.

- يركز على البعد الاجتماعي أكثر من مسائل الهوية الإسلامية.

## ٦- حزب الإصلاح:

- تحت التأسيس.

- يرأسه د. عطية عدلان.

## ٧- حزب السلامة والتنمية:

- تحت التأسيس.

- يضم رموز التنظيمات الجهادية، ويرأسه دكتور كمال حبيب<sup>(٢)</sup>.

## ٨- حزب مصر البناء:

- تحت التأسيس.

- يرأسه م. نضال حماد.

## ٣- الأحزاب السلفية والممارسة السياسية:

### النمط الدعوي للأحزاب السلفية:

تعتبر الأحزاب السلفية أمثلة على أحزاب الأشخاص، لا أحزاب البرامج؛ حيث تعتمد في ترسيخ حضورها المجتمعي على دعم الرموز الدعوية الثابثة خلف كل حزب، فالحزب لا يُرى إلا من خلال قائمة الرموز الدعوية التي تدعمه، ويلاحظ الحضور الصلب للدعاة في كل أنشطة الحزب<sup>(٣)</sup>.

مما جعل الحدود الفاصلة بين الأحزاب والتنظيمات الدعوية مائعة، أو مختلفة تماماً، ويمكن إرجاع هذه الحالة إلى:

(٢) لم يعد في مصر تنظيمات جهادية بعد المراجعات، وإنما يجمع الحزب كل من كان منتمياً للفكرة الجهادية، وهو يتحرك في إطار فكري سلفي، وإن كان بخطاب أكثر مرونة وأقل نمطية.

(٣) من أبرز الأمثلة حضور رموز الدعوة السلفية في كل مؤتمرات حزب النور.

(١) من أهم رموزها ياسر برهامي، وسعيد عبد العظيم، وعبد المنعم الشحات المتحدث الرسمي باسمها، وتصدر أسبوعية الفتح.



الواقع تعلق وتصدر البيانات على الأحداث الجارية<sup>(١)</sup>.

### وخطاب الأحزاب السلفية إجمالاً يتضمن:

- حمولة دعوية عالية معتمدة على تأكيد مسألة الهوية الإسلامية لمصر.

- محاولة طمأنة الرأي العام، متضمناً الأقباط؛

لإزالة حاجز الرهبة من التيار

السلفي، وبناء لغة توافقية مع باقي القوى المجتمعية.

### التحالفات: مسار متعرج:

فرضت القوى الحزبية السلفية نفسها على مشهد التحالفات السياسية، والذي اتخذ مساراً متعرجاً؛ حيث:

١- اختارت الأحزاب السلفية منازعة الإخوان في الساحة السياسية، وبالتالي كانت فكرة التحالف الكامل مع الإخوان نوعاً من المثالية؛ لذا لم يصدر أي حديث عن تحالف إسلامي بين حزب الحرية والعدالة ذراع الإخوان السياسي، والأحزاب السلفية من أي طرف.

٢- تشكل أول تحالف حزبي في البيئة السياسية الجديدة، وهو التحالف الديمقراطي من أجل مصر، والذي ضم أكثر من ٤٠ حزباً، على رأسهم: الوفد، والحرية والعدالة، وقد انضم حزب النور السلفي للتحالف، ثم الفضيلة، والأصالة، والبناء والتنمية في نهاية المطاف. ولكن بسبب النزاعات بين أعضاء التحالف على نسب التمثيل الانتخابي، في ظل نظام القوائم النسبية، بدأ التفكك؛ حيث خرج حزب النور من التحالف مبكراً، ثم انسحب الوفد؛ ليبقى الحرية والعدالة الكتلة الأكبر في التحالف، وظلت

- أدت العلاقة المتوترة بين القوى السلفية والسياسة إلى ضعف خبرة الأولى بالثانية.

- عدم تربية كوادر سياسية يعتمد عليها وحدها في تشكيل بناء حزبي متين، دون تدخل من الرموز الدعوية.

- رؤية القوى السلفية

للأحزاب؛ حيث تعتبرها جزءاً من مشروعها الإصلاحي، ومن ثم لا بد أن تخضع لأطر التنظيم الدعوي، ولا تعامل كأنها كيان مستقل.

- البيئة السياسية العربية لم تمارس التجربة الديمقراطية بحق؛ لذا

فالحياة الحزبية ليست ناضجة، وعموماً فإن آخر ما يُنظر إليه في الحزب هو برنامجه.

وقد قدمت الأحزاب السلفية برامج كلاسيكية متسقة مع مجمل الحالة الحزبية المصرية، وملائمة لكونها التجربة السياسية الأولى، وكافية للبيئة السياسية عموماً، وما تميزت به هذه البرامج هو بطبيعة الحال الخلفية السلفية؛ إذ كان جل التركيز منصباً على مسألة الهوية الإسلامية للبلد، وتفعيل المادة الثانية من الدستور، فضلاً عن عدم المساس بها.

وامتازت الأحزاب السلفية بحضور شعبي عال، وتنظيم المؤتمرات المختلفة، والممارسات الاجتماعية التي تقوي نسبة الحضور بين طبقات المجتمع المتوسطة، كالقوافل الطبية، وإقامة أسواق استهلاكية، مما جعل حضور الحزب في المجتمع دعويًا أكثر منه سياسياً، وبذلك هي تفوق نسبة حضور باقي الأحزاب خاصة العلمانية منها؛ إذ صارت أقرب إلى المجتمع وعلى المستوى النخبوي، فالأحزاب السلفية مشتبكة مع

**امتازت الأحزاب السلفية بحضور شعبي عال، وتنظيم المؤتمرات المختلفة، والممارسات الاجتماعية التي تقوي نسبة الحضور بين طبقات المجتمع المتوسطة، كالقوافل الطبية، وإقامة أسواق استهلاكية، مما جعل حضور الحزب في المجتمع دعويًا أكثر منه سياسياً، وبذلك هي تفوق نسبة حضور باقي الأحزاب خاصة العلمانية منها**

(١) كأحداث السفارة الإسرائيلية، وأحداث ماسبيرو، وكذلك الموقف من تنظيم المظاهرات المليونية بالرفض أو المشاركة، والموقف من قرارات المجلس العسكري المختلفة، والموقف من قانون الانتخابات، والموقف بشدة أمام أي محاولة لتأخيرها.

معه باقي الأحزاب السلفية.

تولي المرأة الولايات العامة<sup>(٢)</sup>.

٣- فشل حزب السلامة والتنمية في إتمام تحالف مع حزب الفضيلة، وكذا فشل حزب مصر البناء في التحالف مع حزب النور.

- بعض الرموز الدعوية<sup>(٣)</sup>: مما ينم عن مأزق القوى السلفية المتمثل في عدم وجود الكادر السياسي الذي يمكن الاعتماد عليه؛ لتفادي الزجّ بالرموز الدعوية في الحياة البرلمانية.

٤- تحالف حزب النهضة<sup>(١)</sup> مع حزب الأصالة.

### الهوية: هاجس الأحزاب السلفية:

٥- انشقت أحزاب الفضيلة والأصالة والبناء والتنمية عن التحالف الوطني، وتعللوا بكون حزب الحرية والعدالة يهّمش قواهم الحزبية، ويهمل حجمهم المجتمعي الكبير، والذي يسمح لهم بتمثيل أكبر في القوائم الانتخابية، ولكن حزب الإصلاح بقي في التحالف راضياً بما قسمه له الحرية والعدالة.

التأثير الرئيس للأحزاب السلفية في البيئة السياسية سيكون متمركزاً حول مسألة الهوية الإسلامية لمصر، وبالتالي ستكون هي محدد جل التفاعلات السياسية لها، وخلفية مفسرة لمواقفها، وتعتبر قضية المبادئ الدستورية أبرز مثال على ذلك؛ حيث أثّرت هذه القضية مبكراً في بيئة ما بعد الثورة من قبل التيار الليبرالي، وتبناها المجلس العسكري الحاكم، ومررت بمنعطفات من الظهور حيناً على الساحة السياسية، ومن ثم رفض مطلق وتصعيد من القوى السلفية، وخضوت أحياناً، ومن ثم هدوء من قبل القوى السلفية، والتي ترى أن هذه الوثيقة محاولة لمنع تصرف القوى الإسلامية بحرية في صياغة الدستور بعد إنجاز الانتخابات التشريعية، والتي يُعتقد أن القوى الإسلامية ستحصل على أغلبية تمكّنها من صياغة الدستور.

**التأثير الرئيس للأحزاب السلفية في البيئة السياسية سيكون متمركزاً حول مسألة الهوية الإسلامية لمصر، وبالتالي ستكون هي محدد جل التفاعلات السياسية لها، وخلفية مفسرة لمواقفها، وتعتبر قضية المبادئ الدستورية أبرز مثال على ذلك**

٦- بجهود من حزب النور تم إنشاء تحالف يضم أكبر ثلاث أحزاب سلفية: النور، والأصالة، والبناء والتنمية.

ومن هذا المسار يتضح كون عملية الوحدة الكاملة بين الأحزاب السلفية مطلباً مثاليّاً؛ نظراً لأسباب ذاتية تتعلق بعدم تنظيمية الجسم السلفي أصلاً، ولكنه ينبئ عن درجة من الوعي بأهمية التنسيق السياسي، وتجنب أي نوع من التصادمات السياسية بين الأحزاب السلفية نفسها، ومع حزب الحرية والعدالة من جهة أخرى.

ويظهر كون المجلس العسكري مصمماً على تمرير هذه المبادئ؛ إذ حاول جرّ الأحزاب السلفية وغيرها إلى محاولة التوقيع على وثيقة مبدئية في اجتماع ٢٠١١/١٠/١م مع عدد من الأحزاب، وبالفعل وقع حزب النور السلفي عليها، وبالرغم من كون هذه الوثيقة غير ملزمة، وليست ذات أثر، إلا أن الدعوة السلفية

هذا ومع تفريغ التحالف الديمقراطي من محتواه السلفي نافست الأحزاب السلفية على نسبة عالية من المقاعد الانتخابية، فتقدم حزب النور بـ ٦١٠ مرشحاً والأصالة بـ ٤٠٠ مرشحاً، والبناء والتنمية بـ ٤٥٠ مرشحاً.

ومن اللافت أن حزب النور قد رشح على قوائمه:

(٢) جادل دكتور ياسر برهامي في هذا الخصوص بأن قبول ترشيح المرأة مفسدة، وغير جائز، ولكنه من باب دفع أخف الضررين.  
(٣) مثل الشيخ عبد المنعم الشحات في دائرة الإسكندرية، والشيخ عادل العزازي في دائرة الجيزة، والشيخ صلاح عبد المعبود في دائرة المنوفية.

٦٠- امرأة: مما ينبئ بقبول القوى السلفية بقواعد اللعبة الديمقراطية، بالرغم من تحفظهم الشديد على

(١) يرأسه الحقوقي ممدوح إسماعيل.

في العملية السياسية لأسباب موضوعية وذاتية، وإن تناولت المسألة السياسية فعلى سبيل رفضها، والتنظير للموقف الراض للممارسة السياسية<sup>(٢)</sup>.

وبعد الثورة حسمت القوى السلفية موقفها من الممارسة السياسية بسرعة؛ حيث كان المزاج السلفي العام ينزع نحو ولوج باب السياسة بعدما كانت لا تفكر في ذلك، حاشا بعض الجيوب المدخلية والرموز الدعوية التي ظلت رافضة للسياسة.

ولكن عملية الدخول في عالم السياسة لم يتم توفير الغطاء الفكري اللازم لها، فهناك حزمة من الأسئلة المحورية لم توفر لها القوى السلفية تنظيراً كافياً، مثل: ما مفهوم العملية السياسية؟ وما حدود الممارسة السياسية؟ ولماذا نمارس السياسة؟ وما الموقف من الديمقراطية؟ وهل هناك فرق بين الفكر الديمقراطي والممارسة الديمقراطية؟ هل تمارس المرأة السياسة؟ ما ضوابط الممارسة.. المباح منها والمحظور؟

إن غياب التنظير الكافي للممارسة السلفية السياسية يجعلها لا تقف على أساس فكري متين، ومن ثم عند أول تحدي في البيئة السياسية سيحدث اضطراب في الصف السلفي، ويتساءل الكل لماذا شاركنا في العملية السياسية أصلاً، طالما هناك مخاطر تؤثر على المسار السلفي؟ مما سيجعل الرموز السلفية في حرج شديد أمام الجسد السلفي، وتهتز مصداقيتها؛ حيث لم يتم توضيح حدود المكاسب المرجوة من الممارسة السياسية، ولا المخاطر المتوقعة بشكل كافٍ يجعل العقل السلفي يحمل تصوراً كاملاً وواعياً عن أبعاد التجربة.

## ٢- تحدي الخبرة:

عدم اشتغال القوى السلفية بالسياسة يجعلها غير محيطة بدرجة كافية بمسالك العملية السياسية، ويجعلها مفتقرة للكادر السياسي الذي تعتمد عليه، مما سيجعل التجربة الأولى مليئة بالصعوبات، خاصة

(٢) مثاله بحث السلفية ومناهج الإصلاح للدكتور ياسر برهامي، والديمقراطية في الميزان للدكتور سعيد عبد العظيم، وكثير من أدبيات التيار المدخلي، كبحث السلفيون والسياسة لسليم الهلالي؛ حيث رفض أي ممارسة سياسية، ومهاجمة كل من ينخرط في السياسة.

قد تبرأت من توقيع رئيس حزب النور على الوثيقة<sup>(١)</sup>، وكذا رفضها شباب الحزب والجبهة السلفية.

ومرة أخرى أثرت القضية في نسخة أخرى متمثلة في وثيقة دكتور علي السلمي نائب رئيس الوزراء للتحوّل الديمقراطي، والتي أعلن عنها في اجتماع مع عدد من الأحزاب في نوفمبر ٢٠١١م، والتي وافق عليها عدد من الأحزاب، مثل الوفد والتجمع، وغاب عن الاجتماع كل الأحزاب السلفية، وكذا باقي الأحزاب الإسلامية، والتي وضعت قيوداً على اللجنة المشكلة للدستور، وأعطت المجلس العسكري صلاحيات كبيرة، وقد قابلت القوى السلفية الوثيقة بالرفض التام، وقامت بتنظيم مليونية في ١٨/١١/٢٠١١م ومعها باقي القوى الإسلامية.

ومن هنا ستظل مسألة الحفاظ على الهوية هي المحدد الرئيس لتفاعلات القوى السلفية السياسي، وسيتمحور أثرها في البيئة السياسية إذا نالت حظ الوصول إلى دوائر التأثير في هذا الإطار.

## المبحث الثاني

### مستقبل القوى السلفية السياسي.. قراءة في

#### التحديات

أقبلت القوى السلفية على عالم السياسة بعد حالة من القطيعة الكاملة في واقع ما قبل الثورة؛ لتنتقل إلى مرحلة جديدة في مسارها السياسي في بيئة ثورية مضطربة؛ لذا ستجابهها حزمة من التحديات التي يمكن اعتبارها محددات لمستقبلها السياسي.

### أولاً: الممارسة السياسية: الواقع والتحديات:

#### ١- التحدي الفكري:

المضمون السياسي للأدبيات السلفية محتشم جداً؛ وذلك لكون القوى السلفية رافضة للانخراط

(١) راجع بيان الدعوة على الرابط  
http://www.anasafy.com/play.php?catsmktba=٢٩٩٢٠

الإقليمي المتمثل أساساً في دول الخليج معني بالقوة الإسلامية الصاعدة في مصر، والتي تملك تأثيراً بدرجة أو بأخرى على القوة الإسلامية الثاوية في مجتمعه، أما الفاعل الدولي فصعود الإسلاميين هو معضلة الربيع العربي بالنسبة له؛ حيث يسعى لضبط مصالحه الاستراتيجية في المنطقة، متأقلاً مع الوضع الجديد الذي أنتجته الثورة، وخصوصاً في ظل وجود القوى السلفية الصاعدة بقوة في المشهد السياسي، مع عدم خبرته في التعامل معها، وعدم إحاطته بأفكارها وطموحاتها السياسية، وبالتالي فهذا سيمثل تحدياً للقوى السلفية، عليها التعامل معه، وضبط المسافة بين مشروعها السياسي الداخلي والخارجي، ومصالح هذه القوى الخارجية في المنطقة.

#### ٤- التحدي المجتمعي:

والمتمثل في الوصول لشرائح المجتمع المختلفة التي لم ينتشر فيها التيار السلفي، والتي بدورها محملة بقدر من عدم المعرفة بالقوى السلفية حيناً، أو تحمل صورة مشوهة عنها أحياناً.

وأمام القوى السلفية هنا تحدٍ رئيس، وهو ما القدر الذي يمكن أن يحتمله المجتمع في وضعيته الراهنة من مشروعه الإصلاحية المناهية بتطبيق الشريعة؟ وما سبل وآليات تنفيذ هذا القدر؟ بما يضمن استمرارية القوى السلفية في مسارها السياسي بتحقيق مشروعها دون التصادم مع الواقع المجتمعي.

فعلى قدر تعامل القوى السلفية مع هذه التحديات يتحدد مستقبلها السياسي، وفي ضوء ذلك يمكن استشراف هذا المستقبل بوضع بعض السيناريوهات المختلفة.

#### ثانياً: سيناريوهات المستقبل.. مصير التجربة:

بالنظر إلى واقع البيئة السياسية الراهنة يمكن استشراف بعض السيناريوهات للتجربة السياسية السلفية.

في ظل البيئة الثورية الاستثنائية التي تمر بها المنطقة، هذه الحالة تتمظهر في عدم تكييف استراتيجية صلبة من قبل القوى السلفية توطر مجمل تجربتها السياسية، من قبيل تحديد أهدافها البعيدة والمرحلية، وما يتحملة الواقع الداخلي والخارجي منها، وما لا يتحملة، وكذا سبيل تنفيذ هذه الأهداف في البيئة السياسية، وأيضاً وضع إطار عام لسياسة تعاملها مع الفواعل المختلفة في المجتمع.

#### ٣- تحدي الداخل والخارج:

##### التحدي الداخلي: وهذا بدوره يشمل:

أ- القوى الإسلامية الراضة للمشاركة في العملية السياسية، كيف ستتعامل معها، وخصوصاً أن الأخيرة ستترقب أي أخطاء للتشجيع عليها.

ب- القوى العلمانية المستاءة من خوض القوى السلفية غمار السياسة، والتي لا تكف عن تسيير الآلة الإعلامية في طريق التهجم عليها، وتآليب الرأي العام ضدها.

ج- الكنيسة القبطية المتخوفة من صعود إسلاميين يُوصفون بالمتشددين إلى الحكم، وبالتالي فهي في حالة قلق على مستقبلها في ظل النفوذ الإسلامي السلفي بالخصوص.

د- النخبة الحاكمة والمتمثلة في المجلس العسكري؛ حيث تسعى لضبط جماح القوى السلفية صاحبة النفوذ الشعبي، والذي لا يملك المجلس تصوراً عن طموحاتها السياسية، وحدود التغيير الذي يمكن أن تسببه إذا وصلت لدوائر صناعة القرار.

هـ- القوى الإسلامية المشاركة في العملية السياسية متمثلة في الإخوان، وباقي التيارات السلفية، أمامها تحدي التنسيق، والتفاعل معاً في البيئة السياسية، واحتواء الخلافات البينية.

#### التحدي الخارجي:

والمتمثل في المحيط الإقليمي والدولي، فالجار

التي تحفظ الهوية الإسلامية لمصر، ومن ثم يمثل هذا السيناريو نجاح التجربة السلفية السياسية، والتي ستسعى إلى تثبيت نفسها في البيئة السياسية، واعتماد السياسة في منهجها الإصلاحي؛ إذ وجدت لها ثمرات فعلية، ولم تخلف أضراراً مفصلية على الحركة الدعوية. وحصول هذا السيناريو مرهون بقدرة القوى السلفية على مجابهة التحديات الثابتة في البيئة السياسية.

### السيناريو الثالث: القوى السلفية في البرلمان.. وجود بلا فائدة:

يفترض هذا السيناريو أن لا تحصل القوى السلفية، ومعها باقي القوى الإسلامية على أغلبية مريحة تمكّنها من التحكم في مسار صياغة الدستور، وإنما يتشكل مجلس مفتت لا تستطيع قوى منفردة السيطرة عليه، ومن ثم يصبح برلماناً غير فعّال؛ يتحكم فيه المجلس العسكري، ويسهم في زيادة فرصة هذا السيناريو ما يلي:

١- تصميم المجلس على تمرير المبادئ الدستورية، والتي ستفرغ الأغلبية البرلمانية الإسلامية من قدرتها على التحكم في صياغة الدستور، والتي تضمن حفظ امتيازات للمؤسسة العسكرية تتيح لها التدخل في السياسات، وعدم المساس بشؤونها الخاصة من قبيل الميزانية العسكرية والمشروعات الاقتصادية الخاصة بها.

٢- وجود قوى علمانية في البرلمان سيوسع دائرة الصدام مع الإسلاميين، مما سيمنع من حصول حالة استقرار برلماني.

٣- احتمالية حصول عدم توافق بين القوى السلفية، وغيرها من القوى الإسلامية على بعض المسائل في ظل عدم الاتفاق الكلي بينهم.

### السيناريو الأول: إلغاء الانتخابات.. البجعة السوداء<sup>(١)</sup> للثورة المصرية:

يفترض هذا السيناريو تعرض العملية السياسية برمتها لانتكاسة بإلغاء الانتخابات، وبالرغم من كون هذا السيناريو مستبعداً؛ لكون الانتخابات قد تحدد موعدها فعلياً في الثامن عشر من تشرين ثاني/ نوفمبر، وقدم كل حزب قوائم الانتخابية ومرشحيه؛ إلا أن ثمة عوامل تجعل هذا السيناريو ممكناً، ومن ذلك:

١- حالة الاضطراب الأمني التي تعيشها مصر، والتي تخرج أحياناً في سياق طائفي.

٢- عدم وضوح نية المجلس العسكري في ابعاده عن السلطة، ولو قرر تسليم السلطة للمدنيين فالى أي مدى سيظل قريباً ومؤثراً في السلطة؟

٣- وجود جيوب للثورة المضادة التي يمكنها إحداث الكثير من الاضطرابات.

٤- ضغط الفاعل الدولي المسكون بهاجس وصول الإسلاميين للسلطة، ومن ثم قد يكون إلغاء الانتخابات، واستمرار العسكر في السلطة خياراً جذرياً لحل هذه المشكلة.

### السيناريو الثاني: القوى السلفية في دوائر صنع القرار:

يفترض هذا السيناريو أن تتم الأمور على الوجه الأمثل، فتجرى الانتخابات، وتحصل القوى السلفية مع باقي القوى الإسلامية على أغلبية نظيفة، تمكّنها من التحكم في صياغة الدستور الجديد بالطريقة

(١) نظرية أطرها نسيم نيكولاس طالب، فحواها حصول أمور غير متوقعة، ولكن عندما تحصل يكون لها بالغ الأثر.



٣- يوجد جدال فكري واسع داخل القوى السلفية عن المسألة السياسية، وإن كانت تنزع في أغلبيتها إلى البعد عن العملية السياسية، أدى هذا الجدل إلى حصول قطيعة بين القوى السلفية والسياسة.

٤- كان موقف القوى السلفية من الثورة المصرية مرتبكاً؛ حيث أيدها البعض، ورفض آخرون المشاركة، وهذا متسق مع تفتت الجسم السلفي، وعدم تشكله في إطار منظم واحد.

٥- أعطت الثورة الكثير من القوة للاتجاهات السلفية من حيث إتاحة قدر كبير من الحرية مكّنها من الظهور للرأي العام، وتشكيل كيانات منظمة، ومن ثم قررت القوى السلفية الدخول للبيئة السياسية، وشكلت مجموعة من الأحزاب، أشهرها النور والأصالة، والفضيلة والإصلاح.

٦- غلب الطابع الدعوي الشعبي على أداء الأحزاب السلفية السياسي، ومن جهة التفاعل النخبوي فقد كانت مسألة الهوية هي الخلفية المحددة لمواقف الأحزاب السلفية في البيئة السياسية؛ يظهر ذلك جلياً في مسألة المبادئ الدستورية، ومعارضتها لتمريرها.

٧- قرار الدخول لعالم السياسة من قبل القوى السلفية لم يحظَ بالتغطية الفكرية الكافية، مما سيشكل عائقاً أمام المسيرة السلفية السياسية.

٨- أمام القوى السلفية حزمة من التحديات التي ستحدد مستقبل تجربتها السياسية، منها ما هو داخلي، وما هو خارجي، ومنها ما هو مجتمعي.

٩- ثمة سيناريوهات محتملة للتجربة السلفية السياسية، تتراوح بين النجاح والفشل التام، أو البقاء في حلبة الصراع السياسي لتكسب وتخسر.

ويفترض هذا السيناريو تصميم القوى السلفية على البقاء في الساحة السياسية، ومحاولة الحصول على أي مكاسب.

### السيناريو الرابع: القوى السلفية.. العودة للتكنات الدعوية:

يفترض هذا السيناريو ما يفترضه السابق، ولكن بفارق أن القوى السلفية ستقرر الانسحاب من الحياة السياسية لتعود إلى الحياة الدعوية، راضية بالتحسينات التي خلفتها الثورة على الأخيرة، ويزيد فرص هذا السيناريو كون القوى السلفية لم تدخل إلى عالم السياسة بغطاء فكري متين، وكذلك وجود سلفيين يعترضون على الممارسة السياسية من الأساس.

وفي علم السيناريو كثيراً ما تكون أقل الفرص للسيناريو الأفضل، وللسيناريو الأسوأ، ومن ثم يكون السيناريو الأول والثاني الأكثر استبعاداً، ويكون السيناريو الثالث والرابع الأكثر حظاً، وتبقى كل الاحتمالات مفتوحة.

### الخاتمة:

يمكن استخلاص النتائج التالية من الدراسة:

١- المنهج السلفي اتجاه ينزع إلى تقديم النصوص الشرعية على ما سواها، وتقديم فهم وتطبيق الصحابة ومن تبعهم على فهم وتطبيق غيرهم، هذا ما يجمع عليه السلفيون، وعامة الإسلاميين، أما عند التيارات الحدائثية فمفهوم السلفية غامض وغير محدد.

٢- الجسم السلفي المصري يجمعه إطار فكري واحد، ولكن هناك قدر من التفاوت في القضايا التي يتبناها كل فصيل سلفي، والسمات البارزة في خطابها، مما جعل محاولة تصنيف هذه التيارات إشكالية عند باحثي الحركات الإسلامية، مما يدفع نحو تصور وجود سلفيات وليس سلفية واحدة.



## معلومات إضافية

### المقومات المنهجية للمنهج السلفي:

يعتمد المنهج السلفي على تقديم الوحي - القرآن والسنة - بصفته المصدر المقدم في العلم على جميع المصادر الأخرى. تنطق السلفية من فهم الإسلام وتطبيقه من القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، ولذا فهي في الأصل منهج كل مسلم سليم المعتقد يبحث عن فهم الدين من القرآن والسنة، وفهم الصحابة والتابعين والأئمة المهديين، ولذلك فإن معنى السلفية -منهجًا وليس جماعة- هي المنهج الذي سار عليه السلف رضي الله عنهم في العقيدة، والعمل، والسلوك، والدعوة والتزكية، وبعبارة أخرى هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين ممن شهد له بالإمامة والتقي والعلم والعمل.

### ومما يدخل في إطار هذا المفهوم:

١- نفي العصمة عن البشر، سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهما بلغوا من العلم والتقى والورع، ومن ثم وجوب الرد إلى الله ورسوله من الجميع.

٢- اعتماد منهج الاستدلال القرآني في قضايا التوحيد والبعث وغيرها؛ بحيث يكون دور الباحث هو تفسيرها لتقريب الناس منها، وتقريبها منهم دون ابتداع أو استمداد أدلة فلسفية لا تتفق مع المنهج القرآني غاية ومنطقًا.

٣- اعتماد فهم الصحابة للنصوص، وتفسيرهم للقرآن والسنة؛ بحكم تلقيهم المباشر من الرسول صلى الله عليه وسلم، وسلامة فطرتهم ولغتهم، ومن مقومات هذا المقوم رفض التأويل الذي أخذ به المتكلمون في تعاملهم مع النصوص؛ حيث تجعل المفاهيم العقلية هي الأساس، ثم ينظر في النصوص، فإن وافقت تلك المفاهيم، وإلا صرفت عن الحقائق التي تدل عليها إلى ما يتسق مع تلك المفاهيم.

٤- الإجماع والقياس مصدران تشريعيان يليان المصدرين الأصليين الكتاب والسنة، ويرجعان إليهما إلى المقاصد والقواعد كما في الإجماع غالبًا، أو إلى الأحكام الجزئية كما في القياس الذي لا يعدو أن يكون ربطًا للأحداث المستجدة في الحياة البشرية في أحكامها بالأحداث التي سبق لها حكم في الوحي عن طريق العلة.

٥- التجديد والاجتهاد: التجديد مصطلح شرعي ورد في حديث شريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) [أبو داود وصححه الألباني]، والتجديد في المفهوم السلفي هو تطهير الدين مما ألحق به من شوائب في أفهام الناس وسلوكهم حتى تعود له في حياتهم نصابته الأولى، أما الاجتهاد فإنه العملية التي تتم بها تغطية حياتهم المتجددة بالأحكام المستمدة من الشريعة، فهو حركة حية للربط بين الواقع البشري في كل زمن وتعاليم الشريعة الموحدة في القرآن والسنة.

٦- شمولية الإسلام: الإسلام لدى الاتجاه السلفي منظومة كاملة في جميع شؤون الحياة الإنسانية عقيدة وعبادة وأخلاقًا ونظمًا اقتصادية وسياسية واجتماعية ومعرفية.

### المقومات الموضوعية للمنهج السلفي:

- ١- وجود الله عند السلف أمر فطري بالضرورة، والأدلة في الأنفس والآفاق والنبوات شواهد تكثف هذا الشعور الفطري.
  - ٢- التوحيد عند السلف ثلاثة أنواع:
    - توحيد الربوبية، وهو توحيد الله بأفعاله في الوجود خلقاً ورزقاً وإحياء وإماتة.
    - توحيد الألوهية، وهو توحيد الله بأفعال العباد قصداً وطلباً وتحاكماً لشريعته.
    - توحيد الأسماء والصفات؛ حيث يثبتون كل ما أثبتته الله ورسوله منها بلا تكييف، وينزهون الله عن المثل والنظير بلا تعطيل له من صفاته وأسمائه.
  - ٣- يقسمون الشرك من حيث أثره في إيمان صاحبه إلى قسمين:
    - شرك أكبر يخرج صاحبه من حظيرة الإيمان، وهو الذي لا يغفره الله، ويتمثل باعتقاد أن لله شريكاً في ملكه، أو في استحقاقه للعبادة بشيء من أنواعها الكثيرة.
    - شرك أصغر لا يخرج من الملة، ولكنه يؤثر في الإيمان، وهو أمانة ضعف فيه وهو الرياء.
  - ٤- الإيمان: اعتقاد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.
  - ٥- القدر حق بجميع مراتبه الأربع: علمه سبحانه المحيط بكل شيء، وكتابته في اللوح المحفوظ، ومشيبته التي لا يخرج عنها شيء من الأحداث، وخلقها كل شيء، حتى أعمال العبد الاختيارية.
  - ٦- الإيمان بالنبوات والرسالات المذكورة في الوحي الصادق، واعتقاد أن الأنبياء بشر يوحى إليهم، والإيمان بمعجزاتهم، وبما أنزل الله عليهم من كتب.
  - ٧- الإيمان بكل ما أخبر به الوحي من سمعيات، سواء وردت في القرآن أو في صحيح السنة كالملائكة والشياطين، والجن والحياة البرزخية، والحياة الآخرة بما فيها من حساب وميزان وصراط وجنة ونار.
  - ٨- تولي أصحاب الرسول وأهل بيته دون تفسيق أحد منهم أو اعتقاد عصمته.
  - ٩- الناس في الدنيا إما مؤمن أو منافق أو كافر، ولا يكفرون معيماً من أهل القبلة ولو قال كفراً؛ إذ يصفون قوله بالكفر، أما هو فلا يكفر حتى تُقام عليه الحجة.
- أما في الآخرة فالكفار-ملحدين كانوا أم مشركين أو منافقين- مخلدون في النار، والمؤمنون المتقون في الجنة، أما أهل الكبائر من المؤمنين الذين ماتوا ولم يتوبوا فإنهم تحت رحمة الله؛ إن شاء عذبهم بقدر ذنوبهم، ثم أدخلهم الجنة، وإن شاء عفا عنهم.

١٠- في التحسين والتقبيح يقولون: إن العقل بفطرته السليمة يدرك حسن الأشياء وقبحها في الجملة، أما تفاصيلها وترتيب الثواب والعقاب عليها، فمناطه الشرع لا العقل.

١١- في السببية: يؤمن السلفيون بأن الله هو المهيمن على هذا الكون، قد أودعه سنناً تجري حركته من خلالها، ويؤثر السبب فيها في المسبب، مع اعتقاد أن السبب والمسبب والسببية بينهما؛ كلها جارية بأمر الله، تابعة لمشيئته.

١٢- النظم الخلقية والاجتماعية في السياسة والاقتصاد، والعلاقات الإنسانية والحضارة، تركز في المنهج السلفي على الأسس العقدية، وتتشكل من خلال الأحكام الشرعية في القرآن والسنة؛ حيث تتكيف نماذجها التطبيقية بهذه الأحكام في ارتقاءاتها الفنية المتلائمة مع ظروف زمنها.

#### المصدر:

عبد الرحمن الزبيدي، السلفية وقضايا العصر، دار أشبيلية ط ١٩٩٨م، ص ٥٣-٥٨.